Contents available at : http://jls.tu..edu.iq

Journal of Language Studies
ISSN 2616- 6224

The Setting in *Blood Beaches... Salt Beaches* by Ibrahim Hassan Nasser

Asst. Prof. Dr.Saad Yassin Latif *
University of Tikrit
College of Education for Women

Asst. Prof. Dr. Abdullah Hassan Jameel
University of Tikrit
College of Education for Women

Hyousif@tu.edu.iq

Keywords:

- Setting
-time
- place.

Article Info

Article history:

-Received 16/2/2018

-Accepted 20/2/2018

Available online 1/3/2018

Abstract

This research is based on the study of the novel universe, which is based on the elements of novel construction (event, character, time, place) in Ibrahim Hassan Nasser's "Blood Beaches… Salt Beaches", one of the novels of war in contemporary Iraqi literature.

The study was based on the analyzing the event, its coordination and composition, personality patterns and narrative features, time paradox, and finally the element of place and its effect on a war novel.

This study seeks to reveal the richness of these elements and their effective role in enriching the setting.

الكون الروائي في رواية" شواطئ الدم... شواطئ الملح "

للكاتب : إبراهيم حسن ناصر

أ.م.د. سعد ياسين لطيف : جامعة تكريت – كلية التربية للبنات– قسم اللغة العربية

أ.م.د. عبدالله حسن جميل : جامعة تكريت – كلية التربية للبنات– قسم اللغة العربية

* * **Corresponding Author:.. Asst. Prof. Dr.Saad Yassin Latif / E-Mail** : Hyousif@tu.edu.iq

، Tel 009647701715071 **Affiliation :College of Education for Women ،University of Tikrit-Iraq .**

المستخلص

قام هذا البحث الموسوم الكون الروائي في رواية " شواطئ الدم... شواطئ الملح " للكاتب : إبراهيم حسن ناصر) على دراسة الكون الروائي والذي يرتكز على العناصر المشيدة للبناء الروائي (الحدث ، الشخصية ، الزمان ، المكان) في رواية شواطئ الدم .. شواطئ الملح للكاتب إبراهيم حسن ناصر ، وهي من روايات الحرب في الأدب العراقي المعاصر .

وقد عمدت الدراسة إلى مقاربة الحدث ونسقه وتشكيله ، والشخصية بأنماطها وسماتها السردية ، والزمن ضمن حركتي المفارقة الزمنية ، وأخيراً عنصر المكان وما يطبع به في رواية الحرب .

وقد سعت هذه الدراسة في مقارباتها إلى الكشف عن غنى هذه العناصر ودورها الفاعل في إثراء الكون الروائي .

الكلمات الدالة: الكون الروائي، الزمان، المكان

المدخل :

ينجز الحدث متصاعداً نحو ذروته أو متشظياً، متواتراً أو متداخلاً، وفي أية حالة من حالات الإنجاز هذه تتكاثر جزيئات الحدث، أو الأحداث الثانوية الأدنى، تتفاعل وتتقدم نحو لحظة خاصة، ذروة، أو منعطف... وكل ذلك يجري في نسق معين يرسم الحدث الروائي.

يرتبط الحدث بالشخصية، فلا يوجد حدث / فعل من دون فاعل له، وقد يكون الفاعل شخصية واحدة، أو مجموعة شخصيات، معرفة أو نكرة. وبما أن لكل حدث أساسي أو جزئي فاعله تتكاثر الشخصيات أو تقل، وتتفاوت أدوارها، وتختلف سماتها بين شخصيات رئيسة وأخرى ثانوية... نامية أو مسطحة. يقترن وجود الشخصية بوجود مكان لها تتحرك فيه وتتفاعل من خلاله مع الأحداث، وقد يكون المكان، غرفة، أو بيت، شارع، أو قرية، وقد أفرزت رواية الحرب أمكنة محددة وهي، الملجأ والموضع والخندق... الخ.

يقدم المكان بوساطة الوصف في الغالب الأعم، يبنى على أساس من التخيل المحض، لكنه لايكتسب ملامحه وأهميته إذا لم يتماثل بدرجة أو بأخرى مع العالم الحقيقي خارج النص.

تنعكس طبيعة المكان وظروفه المختلفة على الشخصية فهو إما يكون مكاناً أليفاً فتعيش الشخصية وتحيا فيه بألفة وانسجام، وإما يكون مكاناً معادياً بسبب طبيعة المكان ذاته أو بسبب ظروف تحل فيه فتحيا الشخصية فيه بحالة من الكراهية والنفور.

ينهض الكون الروائي على العناصر المشيدة للبناء الروائي وهي :

(الحدث ، الشخصية ، الزمان ، المكان) .

1- الحدث وتشكيله:

يمثل الحدث عنصراً مهما من عناصر الرواية وأساس تكوينها، ويعرف بأنّه مجموعة من الوقائع المنتظمة أو المتناثرة في الزمان، وتكتسب تلك الوقائع خصوصيتها من خلال تواليها في الزمان على وفق نظام معين. ومجيء الأحداث وترتيبها على وفق نظام معين هو مسؤولية الراوي الذي يقوم بمهمة رواية الحدث، وكيفية ترتيب الوقائع التي تشكل مهمة الحدث ترتيباً متتالياً متوازياً أو متناوباً أو متداخلاً. إن العناية بالأنساق البنائية للأحداث وكيفية انتظامها انبثقت مع الجهود التي قام بها الشكلانيون الروس في تمييزهم بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي والقضايا المتعلقة بالأعمال الأدبية بشكل عام. وقد كشفت دراساتهم عن وجود أنساق بنائية عديدة أهمها، التتابع والتضمين والتنضيد والتوازي والدائري ونسق الخلط [1].

تعتمد رواية ((شواطئ الدم...شواطئ الملح) في تشكيل أحداثها على النسق المتداخل، وهو النسق الذي تتداخل فيه الأحداث من دون الاهتمام بتسلسل زمنها المنطقي، إذ ((تتقاطع الأحداث وتتداخل، دون ضوابط منطقية وتقدم دون الاهتمام بتواليها، إنما بكيفية وقوعها)) [2] ، فلا يوجد نظام يوجه سير الأحداث أو أن يكون ضابطا لها على وفق نهج معين، إنما تكون الأحداث على شكل متناثر لا يعتمد السببية في ترتيبها ، لأن هدف هذا النوع من الأنساق هو تداخل مستويات الزمن(حاضر، ماضي، مستقبل) مما يسهل للأحداث أن توظف تبعاً للغاية التي يهدف الكاتب تحقيقها. وللكاتب تقنياته الخاصة في خلخلة التتابع الزمني للأحداث وخلق التداخل بينها، كأن يجعل الشخصية تعيش حاضراً ما، تتذكر حادثاً أو أمراً وقع لها في الماضي فتحكي عنه، أو يورد في سياق حاضر قصه، وعلى سبيل التدليل والشهادة أحداثاً تاريخية وقعت في زمن سابق [3]، أو قد يتم القفز من حاضر الأحداث إلى مستقبلها، واستشراف المستقبل للإعلان أو التكهن عما سيشهده الواقع السردي من أحداث تقع فعلاً أو لم تقع.

يبدأ الحدث الروائي في رواية شواطئ الدم... شواطئ الملح عند تسلم ملازم مراد مهام مسؤوليته آمر لأحد الفصائل القتالية في الخطوط الأمامية من ساحة المعركة، بوصفه ضابطاً مجنداً قادماً من مركز تدريب فايدة. فتسلم ملازم مراد مهام الواجبات يمثل نقطة البداية لحاضر السرد الذي انطلق منه الراوي لرواية الأحداث، وكيف أن المسؤولية كانت جسيمة ومريرة على ملازم مراد تتعلق بالحياة والمصير، وهول الحرب، وشدة ضراوتها، وما تفرضه ظروف الحرب الشرسة على ملازم مراد من ضرورات وجوب الالتزام بها، فضلاً عن الحيطة والحذر الشديدين. أول عمل قام به ملازم مراد هو التعرف على جنوده، عددهم، وأسمائهم، والواجبات الملقاة على عاتقهم ، وأماكن تموضعهم، مدنهم ومناطق سكناهم، يسمع طلباتهم، ويكشف معنوياتهم من خلال غناء بعضهم المشحون بالحزن والشوق والذي يصدر بشكل عفوي داخل الملاجئ وأثناء التجمعات.

يعيش ملازم مراد معهم قسوة الحرب بمختلف ظروفها، إذ يشتد عليهم القصف المدفعي يومياً لساعات عدة، يعقبه القنص الدقيق في الساعات الأخرى المتبقية من النهار، يودع العديد من جنوده بين شهيد وجريح، يقضون جل وقتهم في الملاجئ، ولاسيما أثناء النهار، ويأخذ الحدث الروائي بالتصاعد المتتابع في الحاضر السردي. تصدر لهم الأوامر بتكثيف الدوريات الليلية على العدو لجمع المعلومات عنه، من حيث القوة والعدد والآليات وحالة استعداده ... إلخ، تنفذ الدوريات الليلية باستمرار بإمرة ملازم مراد، يعود ملازم مراد في إحدى هذه الدوريات متعباً، يجلس في ملجأه المخصص له، ينظر إلى مصدر ضوئه داخل الملجأ، وهو فانوس أزرق، فتعود به الذاكرة إلى الماضي البعيد، فيبحر في الماضي ومدياته... الماضي البعيد... والبعيد جداً، إلى زمن الطفولة وكيف أن ملازم مراد عندما كان صغيراً وهو تلميذ في الابتدائية يتجمع هو وإخوانه الصغار حول الفانوس ... .

يقول الراوي: ((أطلقت نظري نحو مصدر الضوء : فانوس أزرق وعليه علامة الخفاش التي جرتني بعيداً .. كنا صغاراً أنا وإخواني الثلاثة نتجمع حوله مثل حشرات نقلب أوراق كتبنا المدرسية... ونبلل أوراق الرسم بزيته لنطبع صورة القراءة الجميلة. أنا كنت شغوفاً برسم الجبال.. لا أعلم لماذا، ربما لأن جبل مكحول أمامي كل لحظة. أما عبد الذي مات بالسحايا فقد برع برسم عباد الشمس كان يمتلك حساسية فنية ورهافة عالية.. اللعنة لهذا المرض.. مات وعمره أربعة عشر عاماً...)) [(4)].

فالفانوس الذي يضيء الملجأ حفز ذاكرة ملازم مراد على تقليب صفحات الماضي، وتلك السنين وأيامها الجميلة وحيث الطفولة البريئة وحياة البساطة والفطرة.. ويجر تذكر ملازم مراد للطفولة إلى تذكر والده الشيخ الذي تجاوز عمره السبعين أنذاك، فيسرد جانباً كبيراً من حياته، فهو الملاذ الآمن والكنف المعز والحنو الطيب الذي نمت وترعرعت في ظله طفولة ملازم مراد، وكيف كان هذا الوالد الجليل يتعامل معهم بلطف وطيب مفعم بالعطف الأبوي.. كان يقضي جل وقته في الزراعة والسعي الدائم وراء كسب لقمة العيش لسد رمق أطفاله الصغار، أما فراغه المحدود فيقضيه بالتسبيح والتحميد، وهو يداعب حجر مسبحته... محباً لأكل الخبز الحار الذي كان كثيراً ما يدفئه على جمر الموقد، وكان كثيراً مايرسل إليه مراد فيجلب الخبز من داخل البيت إلى مكان جلوسه... تذكر ملازم مراد لوالده يجره إلى حادثة جرت له مع أبيه، حين سمع أسوة بأبناء القرية من المذياع بانتصار العرب على اليهود، وتمكنهم من إسقاط عدد من طائراتهم عندما كان والده يسقي في حقل القطن، فحمل مراد حينها الغداء لأبيه وسار مسرعاً إلى الحقل وحيث والده، وهو يملأ قلبه الفرح والحبور ليوصل الغداء لوالده ويبشره بنصر العرب. يقول الراوي:

((حملت غداء أبي وانطلقت نحوه كالحصان الجامح، لأبشره بنصر العرب، ومثل أرنب أنط بين الحقول والسواقي، قلت لأبي والفرح يغمرني: أبي.. أبي لقد أسقطنا مائة طائرة يهودية وتتقدم الآن جيوش العرب لاحتلال إسرائيل وتحرير فلسطين، لم ينتبه أبي لي واستمر يداور الماء في الحقل ثم نظر إلي بلا مبالاة وداوم بعمله... ساعتها شعرت وكأن نصفي دخل الأرض وأني بارد كالثلج.. أردت أن أبكي لكني لم أستطع كان وجهي أحمر محتقناً. غرس أبي مسحاته في الأرض واحتضنني وقال:

– لقد سمعت هذا الكلام كثيراً.

– العرب جميعهم هذه المرة ياأبي.

– وهذه هي المصيبة... يابني إنهم يقاتلون بالمذياع فقط)) [5].

فسحة الهدوء تدفع للتأمل والتذكر، ولاسيما الهدوء والسكينة في ساحة الحرب، فالنفس تتمرد على واقعها (واقع الحرب) وتحاول الإفلات منه عن طريق الحلم والتذكر، لتعود إلى ماضيها، وأجمل أيامه، وهو زمن الطفولة، البراءة، والفطرة، العنفوان، والشبائب، الحنان والطيب الأصليين.. وكم كان حب إيصال الأخبار المفرحة للآباء، وكم كانت قناعات الآباء راسخة لا تهتزّ.. تتوق نفس مراد إلى تلك العوالم فيبحر بها... إلا أن تقطع أصوات المدفعية وهدير الرشاشات الذي طرق أذني مراد دفعه إلى قطع صلته بالماضي ليعود إلى حاضره السردي، وحيث ظروف الحرب، فيروي ما يواجه من أحداث، يلتقي عدداً من الجنود، يجري حوارات مختلفة مع بعضهم، يقدم للمروي له الكثير من الشخصيات العسكرية وعن حياة بعض أسرهم، تلك الشخصيات التي كان لها دور في الحدث الروائي.

ويستمر الحدث الروائي بالتدفق المتتابع في حاضره السردي.. الحرب وأحداثها المختلفة، قصف مستمر، لقاءات وحوارات مختلفة مع عدد من المقاتلين، من بينها لقاء مع عريف هاشم الذي كان يتميز ببياض البشرة وخفة الظل، تلك الملامح ذكرت ملازم مراد بزميلته أيام الدراسة الجامعية، عالية اليعقوبية، مما دفع ملازم مراد إلى الهروب من لحظته الآنية والعودة إلى الماضي واستذكار بعض من أيام حياته الجامعية الجميلة وماجرى لزميلته في الدراسة عالية اليعقوبية.

يقول ملازم مراد: ((تأملت هاشم.. أبيض البشرة .. خفيف الظل.. تذكرت –عاليه– اليعقوبية التي كانت أشدنا ذكاءً وحيوية في الجامعة.. جميلة يتدلى شعرها الذهبي نحو ردفها.. تعلقت بطالب أردني اسمه زيد.. كان وسيماً، لقد أحسنت اختيار المظهر.. تظاهر بأنه يحبها.. لكنه في النهاية تركها وعاد دون أن يتزوج منها)) [6].

يستمر ملازم مراد بتمسكه بالماضي، فواقع ملازم مراد المعيشي مرير يخيم عليه الموت والدمار والعذاب الذي لاخلاص منه إلا بالحلم والتذكر والعيش على صور الذكريات، وتذكر ملازم مراد لعالية اليعقوبية لم ينقطع من ذاكرته، فهو ينتقل في ذكرياته من الماضي البعيد وأيام الدراسة الجامعية إلى الماضي القريب، وتذكره للقاء الذي جمعه معها بالصدفة في مرأب النهضة، في إحدى إجازاته العسكرية، وكيف أن الحوار قادهما إلى تذكر الماضي البعيد وأيام الدراسة الجامعية، وحاضرهما وهما كل يواجه ظرف حياته المعيشي. تبقى عالية اليعقوبية شاغلة ذاكرة ملازم مراد في لحظته الآنية حتى عند انقطاعه من الماضي والعودة إلى حاضره السردي، فنسي نفسه وسأل هاشم الجندي الذي حفزت ملامح وجهه وبياضه ذاكرة ملازم مراد لتذكر عالية اليعقوبية – عن عالية اليعقوبية، الأمر الذي أثار غرابة وتعجب الجندي هاشم من هذا السؤال الذي وجّهه له ملازم مراد، إن كان يعرف عالية اليعقوبية أم لا؟ وأي عالية !! ففي ظروف الحرب لا مكان للنساء ولا حتى ذكر أسمائهن ، ليتمكن مراد من معالجة نسيانه بالقول إنها طبيبة نسائية من أقربائه تقيم في ديالى، وذكر مدينة ديالى، كونها مدينة الجندي هاشم ليبعد الشك والاستغراب عن نفس الجندي ويزيل تعجبه.

يعود ملازم مراد بعدها إلى ملجئه، يجلس يحاول الهروب من حياة الحرب والعسكرية ونسيان حياة الملاجئ، ولاسيما بعد جولة متعبة زار فيها العديد من جنوده في مواضعهم، فيعمد إلى القراءة في المجلات التي يغتنمها، يأخذ إحداهن، يقلب أوراقها، يقرأ عناوينها، يتوقف عند صورة لفتاة ملونة، يتأملها، تذكّره بمعلمة قريته إيمان الموصلية، التي كانت تربطه بها علاقة حب، أيام كان طالباً جامعياً ، فتعود به الذاكرة إلى ذلك الماضي، وأحداثه الواسعة، وكيف كانت القرية بفضائها الواسع منتزهاً جميلاً، ولاسيما وقت الربيع، فيصف لنا ملازم مراد ذلك الفضاء بفن وجمالية، إذ يمتد فضاء القرية الأخضر حتى الأفق، فتغرق البيوت الطينية في بحر الخضرة، تحت سماء زرقاء فاتحة، تتخللها قطع الغيوم المتفرقة، تداعب مكونات الفضاء نسمات الهواء الربيعي الدافئ، وهو يعبق برائحة الرشاد، والفطر، والنوار، والخضرة... الأمر الذي كان يدفع معظم سكان القرية إلى الخروج من مساكنهم آخذين معهم بعضاً من مواشيهم ، متوزعين في فضاء القرية الواسع، وفتيات القرية يجبن مساحات الحنطة والشعير، يتفسحن ويبحثن عن (الخباز) الذي كان وجبة أهل القرية اليومية في الربيع.

إضفاء الربيع للجمال الآسر على القرية ولد في النفوس توقاً للعيش بين جنباته، في وسط خضرته، وتنسم عبير هوائه، والتمتع به بكثب، الأمر الذي دفع معلمة القرية إيمان الموصلية حينها– أسوة بأهل القرية– إلى التمتع بجمال الربيع، من خلال قيامها بتنظيم سفرات مدرسية لتلاميذها شبه يومية تقريباً إلى حيث الخضرة والربيع الطلق، في الفضاء المفتوح وهو ما هيأ لمراد الطالب الجامعي

آنذاك الذي اعتاد أثناء نزوله الأسبوعي من الجامعة إلى القرية القراءة في فضاء القرية أن يلتقي بالمعلمة إيمان مع تلامذتها في إحدى سفراتهم، ويجري بينهما حوار طويل. كان اللقاء نقطة البداية للقاءات عديدة، تشغل ذاتية ملازم مراد وذاكرته وتحتل مساحة واسعة من الأحداث الروائية. يقول ملازم مراد:

((كانت إيمان ملتقاي في قريتي عند عودتي من الجامعة هي شيء جاء ولم يتكرر.. كانت ومضة مضيئة أبعدتني عن وجودية وعبث المعري، التصقت بقريتي لأنها فيها.. خرجنا إلى الحقول معاً.. وركضنا وراء صغار الطير تجادلنا في الأدب العظيم للعالم وثوراته الأصيلة... إنها المرأة الوحيدة التي تمنيتها في حياتي... وحين عدت من الجامعة في مساء أحد الأيام إلى قريتي" اسديرة " سألت عنها، قالوا إنها نقلت إلى مدينتها نينوى ولم ألتق بها..)) [7].

إنّ اشتداد القصف المعادي وبصورة مركزة على ملاجئ ملازم مراد وجنوده دفع ملازم مراد إلى قطع تذكر الماضي، ليعود إلى ظرفه العصيب، إلى حاضره السردي، والقصف المعادي الشديد الذي لم يتوقف حتى تم الطلب بالرد عليه من المدفعية المساندة لفصيل ملازم مراد. بعدها يهدأ القصف يخرج ملازم مراد من ملجئه يزور جنوده، يدخل ملجأ مناحي قنيان، يسرد ملازم مراد سيرة مناحي الذاتية (قوته، خشونته..) فهو ابن الصحراء الغربية من العراق، ابن مدينة الرمادي. تختم الزيارة بهدية مناحي ناب ذئب لملازم مراد، يفسح ملازم مراد مجالاً لمناحي قنيان لسرد حكاية الذئب، وكيف أن زوجته تمكنت من قتله عندما هجم على قطيعهم في البيت عندما كان هو في العسكرية.

لقاء مناحي ذكّر ملازم مراد بزميل مناحي، وهو كاكه رشيد، الذي استشهد في معارك ماضية، فيعود ملازم مراد باسترجاع داخلي أي في ماضي الحدث الروائي، فيستذكر سيرة كاكه رشيد الحسنة طوال المدة الماضية من الحرب، وكيف أنه كان شجاعاً، وذا مروءة ونخوة تجاه إخوانه الجنود ولاسيما الجرحى والمصابين.

يودع ملازم مراد مناحي، ليلتقي بالمخابر كريم الذي اتصل به الآمر مقدم هذّال طالباً منه تبليغ ملازم مراد بتنفيذ كمين موضحاً له الطريق والكيفية على وفق خطة مرسومة ومدروسة من كل جوانبها، ينفذ الكمين، ويستغرق زمن تنفيذه طوال الليل، تمت العودة منه قبيل الفجر، والواجب يتطلب كتابة برقية إلى آمر الفوج مقدم هذّال يُبين فيهما كل ما تحقق في الواجب، يكمل ملازم مراد كتابة البرقية، ينظر إلى التقويم يؤرخ البرقية، يتبين أن التاريخ هو الثاني عشر من آذار. يذكّره هذا التاريخ بموعد الإجازة والذي بقي عليه يومان، فيبدأ بتذكر الأهل، البيت، القرية، جبل مكحول وهو يجثم غرب القرية... بيوت القرية المتناثرة بلا انتظام، دجاجها... وأبقارها، تذكّر القرية يجر ملازم مراد كثيراً إلى الماضي...

يتذكر شجرة الصغر التي كان يلعب عليها وفي ظلها، يقول: ((هي شجرتي.. في الصغر أختبئ فيها لأصطاد صغار العصافير، تخدشني أسنانها وأجلب من جذعها حبات الصمغ. وأصنع منها الصمغ، أستعمله لدفاتري)) [8].

وتستمر الذاكرة في استرجاع الماضي البعيد.. القريب.. يتذكّر المدرسة والسنين التي قضاها فيها... تذكر المدرسة يقوده إلى تذكر معلميها عندما كان طالباً، تذكر المدرسة يدفعه إلى تذكر لقاء الماضي القريب وهو يقع في حدود زمن الحدث الروائي وهو يتعلق بالحرب، وهو اللقاء الذي جرى بين ملازم مراد ومعلمة المدرسة رمزية في إجازته الماضية، وكيف أن الحرب سلبت منها زوجها الشهيد كاظم، الذي كان صديقاً حميماً لملازم مراد، إذ تمتد علاقتهما إلى زمن الطفولة وسنين الدراسة الابتدائية، والثانوية، فيجري بينهما حوار طويل عن طفولة الشهيد كاظم، وشبابه.. إلخ. إذ يشغل حوارهما مساحة واسعة من الحدث الروائي.

يتصل قائد الفرقة بالسرايا والفصائل الأمامية، يشد على أيديهم، يحذرهم من تقرّب العدو... يصل الاتصال إلى ملازم مراد، حينها يقطع ملازم مراد صلته بالماضي، فيعيش حاضره السردي، يتقرب العدو، تشتد المعارك لأيام عدّة، بعدها تهدأ الأوضاع، استشهد من استشهد، وجرح من جرح، وأسر من أسر، تغيرت المواضع والأمكنة. هدوء الوضع دفع ملازم مراد إلى زيارة مواضع جنوده، يستجلبه صوت الربابة وهو ينبثق من أحد الملاجئ.

يقول الراوي: ((أدفع الخطوات بين الملاجئ التي تثير فيَ الغثيان حين لايكون هناك قصف، أشم رائحة هي مزيج من البارود ودخان السكائر وتعرق الجنود وملح الأرض، رائحة حامضية تثير فيك تساؤل التائه...يدخل في مسمعي صوت ربابة... موسيقى الأطلال المهدمة هنا تصدح أو تتأوه المهم أنها تثيرني...)) [9].

فصوت الربابة الشجي في عالم لا يعرف الفرح ولا السعادة، بل حتى وإن وجد الفرح في معركة تتحقق فيها أهداف مرسومة، فلا يكون فرحاً إلا بعد ضريبة دم كبيرة، تدفع فيها أرواح شبان، وتدمى كلوم زكية... وتدفن أحلاماً كبيرة.. فملازم مراد الخارج من معركة للتو هو ملتهب المشاعر، مرهف الإحساس والوجدان، فصوت الربابة الحزين يتناغم مع إحساسه الذي يشوبه الحزن بسبب فراق الأحبة من أصدقائه الجنود، حبيبته، فراق الأهل، المصير المجهول... يدخل الملجأ، يتعرف على صاحب الربابة، الجندي أحمد الصويلح، يجري بينهما حوار طويل يجري معظمه حول حياة الجندي أحمد الصويلح وما واجهه في طفولته وأسباب تمسكه بالربابة، هذا اللقاء وهو الأول يؤسس للقاءات قادمة في مسار السرد الروائي وإلى علاقة متينة بينهما.

تأخذ الأحداث في التدفق المتنامي في الحاضر السردي، إذ ينوي أحمد الصويلح الزواج، وفي إحدى إجازاته يكمل خطوبته وبعدها يخبر ملازم مراد بالخطوبة، وعقد القران، ثمّ يخطط لحفلة الزفاف ومراسيم العرس، تشتد المعارك مرة أخرى يجرح أحمد الصويلح بجروح خطرة ينقل إلى مستشفى البصرة، وبعدها علم ملازم مراد، فأخذ يتابعه عن بعد ويستمع إلى أخباره، ويتحين الفرصة لزيارته إلى المستشفى، ثمّ تأخذ الأحداث بالتصاعد في حاضرها السردي، ويصل خبر لملازم مراد عن أحمد الصويلح إنه أخذ يتماثل للشفاء، إلا أن ملازم مراد أصر على أن يزوره في المستشفى، فيزوره ملازم مراد إلى المستشفى في مكان رقوده ويفاجأ بعدم وجوده، فيسأل عنه وإذا هو قد انتحر في تلك الليلة، على الرغم من تحسن حالته الصحية، لأنه كان يدرك أن جروحه قد التحمت وأنه شفي منها، إلا أن الإصابة أعطبت فيه جهازه الذكري وبذلك فإنّ مشروع حياته المستقبلي يعدّ فاشلاً ، وهو الزواج وحلم البيت وجمال الأبناء .

فالحدث تبعاً للتسلسل الزمني الذي يفهم من سياق النص هو: مراد صغير السن، ثم تلميذ في الابتدائية يعيش مع إخوته الصغار في كنف والدهم الرجل العجوز، يكبر مراد، يأخذ بمساعدة والده في بعض أعمال الزراعة مع مواصلته للدراسة، يكمل الدراسة الابتدائية والثانوية ، يلتحق بالدراسة الجامعية، يرتبط في الجامعة بعلاقة حب مع الطالبة (عالية اليعقوبية) ، لم تدم تلك العلاقة لأن الطالبة تركت مراد وارتبطت بطالب أردني.

أثناء نزول مراد الأسبوعي من الجامعة إلى القرية يلتقي بمعلمة مدرسة قريته، (إيمان الموصلية) أثناء قيامها بسفرة لتلاميذها في فضاء القرية في فصل الربيع، أعجب أحدهما بالآخر، بعدها نمت بينهما علاقة حب إلا أنها لم تكلل بالنجاح، إذ نقلت إيمان إلى مدينتها الموصل، ومراد أكمل دراسته الجامعية وسيق إلى الخدمة العسكرية، بصفة ضابط مجند، كلف بقيادة فصيل مشاة في الخطوط الأمامية من ساحة الحرب. في المعركة يواجه أحداثاً عديدة، يلتقي خلالها العديد من الجنود والضباط والآمرين. حبه لسماع عزف الربابة جعله صديقاً حميماً للجندي أحمد الصويلح عازف الربابة، ويقضي جل فراغه معه في ملجئه. يعمد أحمد الصويلح إلى الزواج، يكمل الخطوبة، ينوي الزفاف، إلا أن اشتداد المعارك حال دون ذلك، يتعرّض أحمد الصويلح لجروح خطرة، ينقل عندها إلى مستشفى البصرة العسكري، فيعلم ملازم مراد به ثمّ يقرر زيارته إلى المستشفى وعند وصوله يجده قد انتحر، لأن تلك الإصابة قد أعطبت جهازه الذكري.

لكن السرد في الرواية يقدم الوقائع بصورة مغايرة لزمن وقوعها، فواقعة تسلّم مراد لمهامه كآمر لأحد الفصائل الأمامية في الجبهة، هي من الوقائع الأخيرة في الحدث طبقاً لوقوعها في الزمن، لكنها تأتي في السرد فاتحة الوقائع، ثم تندفع الوقائع الأخرى دونما ترتيب متنقلة ما بين الماضي البعيد جداً حيث زمن طفولة مراد والدراسة في الابتدائية، والماضي البعيد والعيش في كنف الوالد، ومن ثم

الدراسة الجامعية، والماضي القريب، حيث الارتباط بعالية اليعقوبية في الجامعة، ومن ثم بمعلمة مدرسة قريته إيمان الموصلية، ليعود إلى حاضره السردي حيث ظروف المعركة، والشهداء، واللقاء مع المعلمة الأخرى رمزية زوجة صديقه الشهيد كاظم في إحدى الإجازات، وأخيرا التعرّف على الجندي عازف الربابة أحمد الصويلح ... الخ .

معتمداً أساس الزمن الحاضر في روايتها وهذا يبرز التباين بين زمن السرد الذي هو الحاضر وزمن الحدث الذي يمتد طويلاً في الماضي، فأحداث الرواية إذاً تتوالى وتتداخل فهي متناثرة في الزمن ما بين الحاضر والماضي ومدياته المختلفة، وهي منفصلة عن بعضها، إذ أنها لم تخضع لترتيب زمني مترابط لكنها تخضع لترتيب آخر يراعى بصرامة وهو الترتيب السردي الذي ينهض على تداخل مستويات الزمن ما بين ماضيه وحاضره.

2- الشخصيات وأنماطها:

النص الروائي عالم يكتنفه الكثير من الشخصيات، حيث الصراع والتفاعل فيما بينها، فهناك شخصية لها دور كبير في الصراع تؤثر وتتأثر مع الأحداث والشخصيات الأخرى، في حين هناك شخصية دورها محدود وقد لا تتغير البتة، بل تبقى على حالها، ومن هذا المنطلق قسّم الدارسون الشخصية الروائية على قسمين هما ، الشخصية الرئيسة والشخصية الثانوية، وهذه الشخصيات منها ما يتغير وينمو انفعالياً وفكرياً فتسمى بالشخصيات النامية، ومنها ما تلازم حالة واحدة وتسمى بالشخصيات المسطحة [10].

ومن خلال مقاربتنا للشخصيات في رواية شواطئ الدم.. ارتأينا تقسيمها على حسب تباين أدوارها وطبيعة تفاعلها في دفع الحدث الروائي وتطويره من شخصيات رئيسة وثانوية، ونامية ومسطحة.

أ- الشخصيات الرئيسة

وهي الشخصيات التي تشكل ديناميكية الصراع ومحور استقطاب حركة الأحداث، فهي تقوم ((بدور رئيس وتكون قوة الأحداث، وحركة الصراع مركزة عليها، فهي نقطة ارتكاز البنية الروائية ومنها تنطلق الفعاليات المختلفة حيث يتجلى دورها في إثراء الحدث ونحو الفكرة وتدعيمها)) [11].

تمتاز هذه الشخصيات بالحضور السردي الطويل الذي تقطعه في المساحة السردية، فتفوق بذلك زمنياً على بقية الشخصيات، وهي تظهر في مراحل مختلفة من السرد، وكثيراً ما تكون العنصر الأهم في الرواية، ولهذا تكون هي المحور الذي تدور حوله، وكل ما تدور حوله الرواية من أحداث

لابد من أن يمسّها من قريب أو بعيد. والشخصيات الرئيسة في رواية شواطئ الدم.. شواطئ الملح ذات مواقف إيجابية، دورها التضحية والعزم والحزم وتوجيه المقاتلين ومساندتهم، والتعلّق بهم، والجميع هم يعيشون تحت الظروف نفسها، في ظل وطأة الحرب وقساوتها. والكاتب كان له قدرة متميزة في تركيب شخصيات تشد القارئ وتجعله متعاطفاً معها في كثير من الأحيان، يتحسّس معاناتها، وبحسب ما تفرزه طبيعة المواقف والأحداث. ومن الشخصيات الرئيسة في الرواية شخصية (ملازم مراد) الذي أسندت إليه رواية الأحداث بسبب دوره الفاعل في سيرها داخل النص الروائي.

وشخصية ملازم مراد ذات بعد عسكري واقعي، فهو أحد الفصائل في خطوط المواجهة مع العدو، ومن ثم استلامه للأوامر والتوجيهات من مراجعه العسكرية العليا وتنفيذها مع جنوده بكل دقة ومهنية، ومتابعة الجنود والعيش بينهم، إلى الملازم المنضبط الممتهن للعسكرية وقوانينها الصارمة. فملازم مراد مركز سير الأحداث ومحور استقطاب الصراع. فهو ملازم أنيطت به مهام آمر لأحد الفصائل القتالية، والذي تبدأ مهامه في قيادة الفصيل مع بداية انطلاق الحدث الروائي. يقول الراوي آمر السرية:

((إنه الملازم مراد–مجند– كان قبل أن يأتي إلى هنا في معسكر تدريب " فايدة "... سيتولى مهامه من اليوم فسهّلوا مهمته..)) [12]. فملازم مراد سعى ومنذ تسلم مهامه الأولى في قيادة الفصيل المتماس وجوده مع العدو إلى التعرف على مواقع ملاجئ جنوده. وواجبات كل منهم، بل وأسمائهم وحتى كشف معنوياتهم. وفي المقابل كان أيضاً محباً لتعريف نفسه على جنوده، وفي كل ذلك أمر لابد منه، وإلا كيف سيتم التعامل فيما بينهم، وإصدار الأوامر والتوجيهات في ظروف حرجه للغاية– يقول الراوي: ((مشيت في الخندق أريد أن أعرف مواضع الفصيل كلها.. يتبعني عريف الفصيل. دخلت موضع قاذفة أربعين مليم، فجأة سمعت أحد الجنود يغنّي غناءً يوحي بالشوق.. قطع غناءه وأستعدّ معتذراً.. ابتسمت.. وقلت: إذا طابت النفوس غنّت.. وقلت في نفسي إنه مطمئن وهذا يعني أنه كان على قدر كبير من المعنويات، لم ألبث كثيراً بل لحظة وتركت موضع القاذفة إلى المواضع الأخرى، استطعت أن أدخل مواضعهم جميعاً لكني لم أتمكن من معرفة أسمائهم بسرعة ولم أستطع أن أكمل ترتيب مواضعي الدفاعية، لكني سأعرفها لا محالة في الأيام القادمة)) [13].

يعيش ملازم مراد بين جنوده، وهم شركاء في المصير المشترك، تحت وطأة الحرب وظروفها بين الحديد والنار بل بين الحياة والموت... لوعة الحرب ونارها المستعرة تجعل ملازم مراد متقد الجوى وهو يحنّ إلى الحياة المدنية حياة الحب والتفاهم والسلام، حياة الاستقرار والطمأنينة والحرية، فتعود به الذاكرة إلى قريته الريفية الجميلة بفضائها الرحب، وفطرة أهلها، يقول الراوي: ((كنت هائماً في حقول قريتي" اسديرة ".. القمح مدىً أخضر يمتد حتى الأفق.. ومستعمرات الأقحوان تتخلل البقع

غير المزروعة بالقمح والشعير.. البيوت الطينية تغرق في بحر الخضرة... والماشية مضطجعة.. تجتر أكلها بتكاسل)) [14] .

لكن التأمل والركون إلى الذاكرة لا يمكن له أن يستمر ويصمد من دون أن يقطعه هدير المدفعية وأصوات الرشاشات ، فيعود ملازم مراد إلى واقعه الحقيقي، واقع الحرب يواجه الفعل الحربي المعادي بفعل مضاد له يقل أو يزيد حسب طبيعة المعركة، يحتل أراضٍ، وتحتل منه أراضٍ، يأسر من جنوده، يستشهد البعض الآخر، تصدر له الأوامر في القيام بكمين ليلي في بحيرة الأسماك ثمّ يتعرض الفصيل إلى قصف مدفعي شديد يحول دون تنفيذ الكمين، يقول الراوي: ((قصف معادي مركّز لملاجئنا.. اهتزاز في هذه الجحور التي لا تسكنها حتى الثعالب، غبار، دخان يصعد إلى السماء.. تسقط شظية عند باب ملجأي.. الهول الهول لمن بقي حياً.. يستمر القصف المعادي.. صاح أحد الجنود من ملجأه لن يتوقفوا إلا إذا ردّت عليهم مدفعيتنا.. لحظات ويستجيب رجال المدفعية لقول الجندي.. وتهدر المدفعية ونكون أرض حرام بين المدفعية المتقابلة التي تناطح بعضها بعضاً)) [15].

تطورات الموقف في ساحة المعركة ، وتبادل القصف المدفعي الكثيف يقود إلى تصادم شرس تخوضه عدد من الوحدات العسكرية وفي مقدمتها الوحدة العسكرية التي ينتمي إليها ملازم مراد ، ولاسيما فصيله الذي بإمرته. يقول ملازم مراد: ((معركة الفاو الشرسة لم تتوقف ولم تهدأ. إنها معركة لايمكن أن تستوعبها ساعات النهار وليس لنارها أن تخمد بأيام وأسابيع، يالهولها!! فمنذ أكثر من شهر ولغة الحديد والنار تنطلق والبيانات العسكرية تحكي قصة القتال المريع. هي محرقة بكل ما فيها، ومن المنطقي أن تحتاج إلى الكثير من الرجال)) [16] .

تنتهي المعركة وملازم مراد وجنوده مسلّمين بما كتب عليهم من خسارة أو نصر، إلا أن عيونهم ترنوا إلى المستقبل ماذا سيواجههم في قابل الأيام. تكبد الجانب المعادي في هذه المعركة خسائر كبيرة، وفي الوقت نفسه ودّع ملازم مراد عدداً من مقاتليه، منهم إلى مثواه الأخير، والبعض فيه جروح خطرة تحتاج إلى علاج في المستشفيات، أو الركون إلى البيت.. فضلاً عمن أسر أو فقدت أخباره، والحرب لا رابح فيها، وهي استنزاف خطير تجرّ البلاد إلى ويلات لا تحمد عقباها، الأمر الذي دفع ملازم مراد إلى التفكير في نهاية الحرب، هذه الحرب التي وقودها البشر وهي في سعير متزايد، فراح يتأمّل ويفكر في نهاية الحرب. يقول الراوي:

((هاجس انتهاء الحرب، بداية لعهد التفاهم. ماذا في حلمي غير هذا...؟ وبأي شيء يمكن أن أشغل أفكاري، هل أنا عائد إلى ظلال النخيل، وبساط عشب البراري الآمنة؟ أم أني أنساق نحو جحيم المصير، كل ما في مجموعة تناقضات الأولى ضدي والأخرى معي، وأنا لست بمخيّر الانتقاء)) [17] .

يستمر السرد حتى يصل إلى نبأ جرح المقاتل أحمد الصويلح الجندي الذي يجيد العزف بمهارة على آلة الربابة والذي كان له مكانة في نفس ملازم مراد، بسبب حبّه لعزف الربابة ولحنها الحزين، الذي كان يثير مشاعر ملازم مراد كثيراً، أحمد الصويلح كان على أبواب الزواج، كان قد أكمل مراسيم الخطوبة وهو ينتظر موعد إجازته القادمة ليتم فرحته بالزواج من حبيبته. وكان ملازم مراد أحد المدعوين للعرس وهم على أبواب العرس، إلا أن إصابة أحمد الصويلح بجروح خطيرة حال دون ذلك. نقل أحمد الصويلح إلى مستشفى البصرة، وبقي ملازم مراد يتابع أخباره ويراسله ويتحيّن الفرص لزيارته للمستشفى، وقد سمع ملازم مراد من الجنود الذين زاروه في المستشفى أنه قد اكتسب الشفاء التام، إلا أنه يقرر إلا أن يزوره في المستشفى وفاءً للصداقة التي تربطهما. وعندما يصل ملازم مراد إلى المستشفى فإنه يجد أحمد الصويلح أثناء الليل قد أقدم على الانتحار بتناول كمية من الحبوب، بعدما وجد جروحه قد شفت إلا أن الإصابة قد أعطبت جهازه الذكري، وبذلك تحطّم مشروعه المستقبلي.

فشخصية ملازم مراد إذاً تمثل انطلاق الأحداث ونقطة الصراع والتفاعل مع الشخصيات الأخرى في الرواية، وأن أي فعل يحدث لابد أن يكون لملازم مراد دور فيه من قريب أو بعيد. وتعبّر شخصية ملازم مراد عن الشعور بالمسؤولية الذي يعزّز التلاحم والمحبة لاسيما بين الضابط وجنوده الأمر الذي يعزز وحدة المصير وقوة التلاحم في ظرف يعدّ غاية في الخطورة وهو الحرب.

ومن الشخصيات الأخرى في الرواية تطالعنا الشخصية الرئيسة هي شخصية (مقدم هذّال) آمر الفوج الذي ينتمي اليه فصيل ملازم مراد، فأي فعل يقدم عليه ملازم مراد لابد أن يكون تحن علم مقدم هذّال أو بأمر منه بوصفه الآمر المباشر لملازم مراد. يقدم الراوي وصفاً لمقدم هذّال بالقول: ((مقدم هذّال اسم يوحي بالصرامة والحزم.. رجل أبيض البشرة أشقر الشارب تبدو عليه بعض علائم التعب، فقد كان من أوائل الضباط الذين أنيطت بهم قيادة المقاتلين في الحرب...)) [18] .

تتطلب ظروف المعركة أحياناً من الآمر المباشر جمع ضباطه وتوجيههم، والاستماع إلى آرائهم، فالآمر لا يتولى منصبه إلا بعد خدمة طويلة ورتبة عالية تؤهله لاتخاذ القرار في أهلك الظروف. يجمع المقدم هذّال الضباط الذين بإمرته، يعرض الخارطة العسكرية أمامهم ويأخذ بالشرح والتوضيح عليهما، يقول الراوي: ((وقف المقدم هذّال أمام اللوحة الخشبية السوداء يؤشر بالعصا اتجاه الجبهة على خريطة وضعت فوقها.. وبيده اليمنى قالب طباشر يستعين به لتوضيح أي التباس يعترض ضباط فوجه.. وظهر شط العرب والخليج وجزء من جزيرة بوبيان ورأس البيشة والمملحة.. كل المعالم ظهرت على التربيعات)) [19]. بعد توضيح مقدم هذّال لضباطه عن المواقع والأهداف وطبيعة الأرض، وإصدار الأوامر والتوجيهات بصدد ذلك وتقسيم الواجبات، ليأخذ كل دوره ومهامه، ويبدأ بتنفيذ الدوريات والكمائن والهجوم على مواقع العدو، وصد الهجوم ورصد تحركات العدو.

يواجه المقاتلون ظروفاً مختلفة، قصف مدفعي شديد، خروقات خط المواجهة، والسواتر الأمامية ، تبقى ظروف المعركة في تصاعد مستمر، وأحداث مريرة يواجهها المقاتلون جراء القصف، بين جروح خطرة، وبتر الأطراف والأسر، وتهديم الملاجئ، وانقطاع التموين بما فيه ماء الشرب والغذاء والتعزيزات الأخرى... وفي أدق الظروف وأهلكها يبقى مقدم هذّال على اتصال مستمر بضباطه وجنوده، في الكمائن والدوريات، والتعرّضات في النهار أو في ساعات متأخرة من الليل. ويستمر السرد في متابعة الأحداث وتواليها، وتوجهات مقدم هذّال واتصاله المستمر بالجنود ومتابعته أدق التفاصيل عن طريق الاتصال السلكي. وأخيراً يصدر مقدم هذّال الأوامر لملازم مراد والضبّاط الآخرين بالانسحاب تنفيذاً لأوامر المراجع العليا وما تفرضه متطلبات الحرب. يقول الراوي: ((يرن جرس التلفون... التقط الحاكية.

– نعم.. مقدم هذّال... أهلاً سيدي.

– هيء نفسك وجماعتك للانسحاب.

– الانسحاب؟

– نعم ...

– أمرك سيدي.)) [20].

وقد عبر مقدم هذّال أحد الشخصيات الرئيسة في الرواية عن حالة الإحساس والشعور بالمسؤولية من خلال الدور الفعّال الذي قام به في التوجيه والمتابعة الميدانية المستمرة، وتلك قيمة عليا يتحلّى بها الإنسان المسؤول لاسيما إذا توج هذا الشعور بالمساندة والوقوف بجانب الرعية وتلمس جراحهم ومعاناتهم ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم .

ب_الشخصيات الثانوية:

وهي الشخصيات التي تساند الشخصيات الرئيسة ولها دور فاعل في حركة الصراع، وسير الأحداث، وغالباً ما تلقى هذه الشخصيات الضوء على جوانب الشخوص الأخرى[21]. وإذا كانت الشخصيات الرئيسة مركز الصراع فإن الشخصيات الثانوية تسهم فعلياً في تعزيز ذلك الصراع من خلال تفاعلها مع الشخصيات الرئيسة وإبراز أفعالها وكشف غموضها، والشخصيات الثانوية لا تقل أهميتها عن الشخصيات الرئيسة فهي تسهم مساهمة فعالة في بناء ومؤازرة الشخصيات الأساسية وفي دفع حركة الحدث إلى أمام. يهتم الكاتب بهذه الشخصيات، على الرغم من اهتمامه بالشخصيات الرئيسة أكثر، ولكن هذا لا يعني عدم إعطائها حقها في النص الروائي، بل يعتمد عليها في كثير من الأحداث، وقد يحملها آراء ونظرات هي من واجبات الشخصية الرئيسة . ومن

الشخصيات الثانوية في رواية شواطئ الدم... شخصية ملازم أول علي، تسهم هذه الشخصية في صيرورة الأحداث ونمو حركتها إلى أمام من خلال تفاعلها مع العناصر الروائية الأخرى. فملازم أول علي يعيش تحت الظروف نفسها التي يعيشها ملازم مراد، واقع الحرب وويلاتها، وهو قريب من ملازم مراد في ساحة المعركة وعلى اتصال دائم به، بوصفه الآمر المباشر لملازم مراد، فكثيراً ما يتلقى ملازم أول علي الأوامر من المراجع العليا ويوجه بها ملازم مراد، ويأخذ ملازم مراد على عاتقه تنفيذ الأوامر والتوجيهات فضلاً عن رواية الأحداث بوصفه شخصية رئيسة موظفة في الرواية.

فملازم أول علي يرفد ديمومة الحدث ونموه إلى أمام باعتباره مركز تلقي الأوامر من الجهات العليا وتوجيه ملازم مراد بها، وهذا التوجيه يسهم في بلورة الحدث، وفي دفع عجلته إلى أمام في نوع من المؤازرة مع الشخصية الرئيسة.

يقول الراوي: ((قرأ ملازم أول علي بإيجاز البرقية الفورية التي تأمر لوائنا بالهجوم المقابل على العدو.. بسرعة تقف سيارات الـ " ايفا " برتل ويبدأ الجنود بالركوب فيها لكل سرية سيارتين. كانت الأوامر تؤكد على ضرورة عدم جعل العدو يستفيد من موطئ القدم الذي حصل عليه)) [22] .

فملازم أول علي شخصية منضبطة عسكرياً، يتلقى الأوامر وينفذها بمهنية عالية مراعياً الظروف في الاستناد إلى الإيجاز والدقة وتنفيذ الأوامر وهو ما تفرضه ظروف الحرب وتغيّراتها المختلفة.

تستمر الأحداث بالنمو والتصاعد حتى تصل إلى ظروف وأحداث تتطلب من ملازم أول علي ان لا يقف عند حد تبليغ الاوامر من المراجع العليا او اصدار التوجيهات، بل تتطلب الظروف التدخل الفعلي في الأحداث والمواجهات في فعل يؤازر الشخصية الرئيسة من خلال قيادة مجموعة من الجنود لصد هجوم وتعرض شرس يتعرض له ملازم مراد، وهو ماتتطلبه ظروف الحرب وظروفها المتغيرة. يقول الراوي: ((انطلق ملازم أول علي بمجموعته حيث قسمت السرية إلى قسمين متساويين.. الدخان يتصاعد في كل الاماكن وصوت الانفجارات يتزاحم في الرأس. يلتصق الجنود بالأرض التي تصعقها القذائف دون وعي. تشاكس سطحها الريح الثقيلة. تتوزع مجموعتي بمحاذاة الشارع وهم يحتمون بالحفر من الرصاص والقنابل...)) [23]. ومن خلال الأحداث نتعرف على شخصية ملازم أول علي وعن دوره العسكري في التوجه والمشاركة الفعلية، فهو ملازم أول جلد وشجاع، يأمر ويأتمر ويقاتل بشجاعته ومهنية عاليتين من دون خوف او تردد. يقول الراوي: ((أرى ملازم أول علي من وراء كيس ممزق يقذف الرصاص على العدو الذي احتمى بالملاجئ المحطمة.. وهو ينزف دماً. حسبت انه لايعلم، وصحت به:

– انك جريح

– اعلم ذلك

واصل قذف الرمانات على العدو وتقدم جنودنا بعد مقاومة عنيفة استطاعوا إزاحة المقاومة. بعدها قال لي والتعب باد في وجهه: لقد كسرت شوكتهم)) [24] .

وقد كشف الراوي وهو ملازم مراد عن دور ملازم أول علي في ظروف الحرب وعن صبره الذي لا يلين وقتاله المستميت في تعزيز الشخصية الأساسية وتعميق دورها في صراع الأحداث، بوصفها رأس الحربة في عمليات المواجهة مع العدو، وفي بلورة الأحداث وروايتها.

ويستمر الحدث بالتصاعد حتى تصل الأحداث إلى تفاقم دفع ملازم أول علي إلى انسحابه بسبب إصابته الخطيرة، ليأخذ ملازم مراد (الشخصية الرئيسة) على عاتقه الصراع مع الأحداث وروايتها بوصفه راوٍ مشارك وشاهد على الأحداث.

ج– الشخصيات النامية والشخصيات المسطحة:

يعتمد الكاتب طريقة عرض معينة، يعرض من خلالها شخصياته، فقد نجد بعض الكتاب، ((يعرض لنا شخصياته بصراعها، وبالظروف المعقدة التي تحيط بها، فيكمل بذلك ملامح كل شخصية وسماتها الوجدانية والنفسية، وقد يكون الفنان ممن يقدم شخصية ذات جانب واحد لا غير فيجتزئ، بأقل الأحداث تعقيداً في رسم شخوصه، وقد يكون الفنان ممن يعنى برسم الشخصيات المعقدة المصطرعة الوجدان ذات الجوانب العديدة الكثار)) [25] . واعتماد الكتاب هذه المنهجية في عرض الشخصيات، دفع النقاد إلى تصنيف الشخصيات بحسب آلية عرضها إلى نوعين هما ((الشخصية الجاهزة (الثابته) والشخصيات النامية المتطورة)) [26] .

وعند متابعتنا للشخصيات في رواية شواطئ الدم... لاحظنا أن بعض هذه الشخصيات نامية (متطورة)، وبعضها الآخر ثابتة (مسطحة) وهذه السمات ليست بمعزل عن الشخصيات الرئيسة والثانوية بل إنها متداخلة معها وهي " صفات لها " [27].

1– الشخصيات النامية:

تقودنا التسمية إلى طبيعة هذه الشخصية، فالنمو دليل التطوّر والتغيّر، فهذه الشخصيات ((تتطور من موقف إلى موقف بحسب تطور الأحداث، ولا يكتمل تكوينها حتى تكتمل قصتها))[28] . فهذه الشخصيات لا تبدو للقارئ دفعة واحدة، بل ((تتكشف شيئاً فشيئاً، وتتطور بتطوّر القصة وأحداثها، ويكون تطورها غالباً نتيجة تفاعلها المستمر مع الحوادث)) [29]. فالشخصية النامية شخصية متغيّرة الجوانب بحكم صراعها مع الأحداث، وهي تصل في نهاية الأحداث بعيدة عن حالها التي طالعتنا

به مع بداية الأحداث، إذ تتكشف كلما تقدمت في الرواية وتحمل المفاجأة بما تعنى به من جوانبها وعواطفها الإنسانية المعقدة [30] من تحولات مفاجئة تطرأ عليها في مسارها السيروي.

ومن الشخصيات النامية في الرواية شخصية (أحمد الصويلح)، نتعرف عليها من خلال تفاعلها مع الأحداث والشخصيات الأخرى، ومدى تأثيرها فيها. ويظهر هذا في علاقتها وتصرفاتها وردود أفعالها المختلفة . فشخصية أحمد الصويلح تظهر في بداية الحدث بصورة مبهمة يتضح ذلك من خلال تقديم الشخصية لنفسها.

فأحمد الصويلح عاش منذ بداية حياته يتيم الأبوين، توفيت أمه يوم ولادته، وتولّت رعايته ورضاعته نساء الغجر اللاتي كنَ يجبن القرى والأرياف بحثاً عن المأكل والمشرب والمأدب والفرح ...إلخ أما والده فهو لم ير وجهه مطلقاً، قيل إنه كان فدائياً في الجيش الفلسطيني وقطعت أخباره وأغلب الظن أنه استشهد هناك. يقول الراوي: ((يوم جئت للدنيا ماتت أمي التي لم يكن لها أقرباء... يقال إنها ابنة أحد الرعاة الذين ماتوا وهم حفاة وراء الماشية... أما أبي فلم أرَ وجهه إطلاقاً، يعتقد أنه تزوج فلسطينية وبقي هناك عندما كان في الجيش عام 1948 ويظن أنه قتل في حيفا)) [31].

أحمد الصويلح أحب الربابة والعزف عليها، وهذا الحب أخذ ينمو ويكبر يوما بعد آخر، مع تقدم أحمد في السن، حتى أصبحت آلة الربابة في نهاية المطاف أليفه ورفيقه الدائم فراح يزور القرى والأرياف البعيدة مصطحباً آلته وهو يبحث عن الفرح ومناسباته المختلفة، أو يلبّي دعوة وجهت له، ليضفي على المناسبة فرحاً وجمالية بغنائه وعزفه للألحان الجميلة. وعلى حين غفلة يدق ناقوس الحرب بابه فينخرط في صفوف الجيش لأداء خدمة العلم، فريضة أم ضريبة تفرضها أعظم دول العالم على أبنائها. لم يتخلّ أحمد الصويلح عن آلته في العسكرية في أشد ظروف القتال وعن عزفه للألحان التي أخذت منحاً شجياً، لاسيما بعد أن أصبحت نفسه المرهفة التواقة للحرية والتنقل في شعاب الريف وسهوبه، في ضيق والتياع مستمر وهي تعيش ساعات الموت والدمار، وتوديع الشهداء من الأصدقاء. لحنه الحزين الذي يعزفه في ساحة المعركة، في الملاجئ الغائرة في الأرض بين أنين الجرحى وحزن توديع الأصدقاء من الشهداء أصبح محط اهتمام ومحبة الكثير من الجنود والضباط الذين راحوا يتجمعون كلما سمحت لهم الظروف في هذا الملجأ أو ذاك، وهم يدفعون الزمن الثقيل القاتل، ويؤججوا المشاعر الملتهبة.

وقد يخرج أحمد الصويلح أحياناً في ألحانه إلى العزف والطرب إذاً ما أتت ساعات تشرق الروح فيها، عندما تطلق الإجازات أو ورود خبر سار.

الموسيقى غذاء الروح .. ورسالة السلام، فألحان الفرح والسرور تنسي الجنود الحرب ومآسيها ولو لساعات قليلة.

عزف الجندي أحمد الصويلح المستمر في أماكن لا تعرف اللحن والفن والجمال، أوجد له الكثير من الأصدقاء والمحبين التواقة نفوسهم للفن والجمال، فراحوا يحبّون أحمد الصويلح، يتمنون له الفرح الدائم والخير، وأخذوا يلحون عليه ويدفعونه للزواج اعتزازاً منهم به، وحبهم التعاون معه لعمل عرس بهيج وفرح كبير يليق به. ولكثرة الحاح محبيه دفعه للتفكير بالزواج، يقول الراوي: ((بعد كل هذا. أفكر بالزواج... لأني أعتقد أني لم أعد قادراً على السفر الدائم أحتاج إلى بعض الاستقرار وقد وجدت المرأة التي أبحث عنها)) [32] .

الكاتب يدفع الشخصية من موقف إلى موقف آخر عن طريق نمو الحدث، إذ تنمو الشخصية وتنكشف شيئاً فشيئاً. يعمد أحمد الصويلح للزواج، إذ يقترن بامرأة أحبها قلبه، ثمّ يطلب يدها فتتم الموافقة، وبعدها تتم الخطوبة، يبقى بعدها يتحين الفرصة للزواج، يلتقي ملازم مراد بأحمد الصويلح في الجبهة، يسأله عن الزواج . يقول الراوي ملازم مراد:

((أحمد الصويلح يظهر أمامي، يبتسم لي.

– الله يساعدك أحمد...

– أهلاً سيدي.

– متى تتزوج؟

– بعد انتهاء معركة الفاو)) [33] .

الحوار يسهم وبشكل فعّال في حركة الأحداث ونموها، وفي الكشف عن خبايا النفوس الداخلية وتطلعاتها. أحمد الصويلح بعد ارتباطه بالخطيبة من جهة واشتداد المعارك التي كانت تقف حائلاً دون إكمال مشروعه أخذ يعيش في صراعات مختلفة، صراع مع الذات بسبب رغبته في إتمام مشروع الزواج وصراع مع الخارج المعاش بسبب شراسة الحرب وتفاقم أمرها التي هي في حقيقة أمرها ضد الإنسانية واستقرار الحياة والسلام.

تشتد المعارك بين الجانبين، ويشتد أوارها، يتقدم الجانب المعادي باتجاه قوة ملازم مراد وجنوده، ويقاتل أحمد الصويلح بشراسة لاسيما بعد مقتل أحد أصحابه، يتحمّس بفقد سيطرته على أعصابه، ثمّ يخرج من الساتر ويقاتل للأخذ بثأر صاحبه، يطلق الرصاص والرصاص، حتى تمكن عدوه من إصابته بجروح خطرة بين ساقيه... يقول الراوي:

((– أحمد ... أحمد ... انزل إنك مكشوف حتى قدميك.... لا ينتبه لي، يقذف المخزن الفارغ بعيداً ويركب الملآن كأنه إنسان ألي وهو فوق الساتر...

انزل... انزل... إن العدو يرد عليك يركز باتجاهك. لا يأبه لكلامي لندائي، أو لا يسمعني من شدة الرمي إنه يطلق الرصاص وهو في العراء بلا ستر قاطعاً خط الأفق.. ينتزع المخازن من أحزمته ويركبها في بندقيته التي تلتهم العتاد.. وتطلق الرصاص باتجاه العدو.. باتجاه الموضع المعادي الذي جاءت منه طلقة القناص التي قتلت هاشم.. أفقد أعصابي اركض نحوه لأنزله عن الساتر، تسقط قذيفة معادية بين أقدامه ويغمره التراب والبارود والدم. أقلّبه.. دم ينزف من بين فخذيه ومن أماكن أخرى)) [34] .

فشخصية أحمد الصويلح تنمو في الاتجاه الإيجابي المتفاعل مع الحياة ومتغيراتها، والمؤمن بكل خفايا القدر، فهو لم يتراجع في لحظة أو تهرب من الواقع، ولم تبعده ويلات الحرب ومخاطرها عن الإيمان بالحياة وتطلعاتها والسعي إلى تحقيق الأهداف والمشاريع الإنسانية . يُنقل أحمد الصويلح بعد إصابته إلى المستشفى للمعالجة ، يزوره معظم أصدقائه ، تأخذ جروحه بالتماثل للشفاء، يكشف في النهاية أن جروحه قد شفيت والتحمت إلا أن الإصابة قد أعطبت عليه ذكوريته وبالتالي فإنّ ذلك قد دمّر حلمه في مشروع الزواج والإنجاب والعيش في ظل بيت كريم مستقل، تثور نفسه فيُقدم على الانتحار بتناول كمية من الأقراص المنوّمة.

فـ (أحمد الصويلح) شخصية نامية متطورة أخذت تتكشّف شيئاً فشيئاً تطالعنا أولاً في بداية حياته، بعد الولادة مباشرة، وحالة اليتم، ثم تعلّم العزف على الربابة، والانخراط في صفوف الجيش، ومن ثم الخطوبة ومشروع الزواج، ومقاتلة العدو بشراسة واحتدام، وبعدها الإصابة التي قادت إلى الانتحار... فحالة التغيير والنمو تلازم الشخصية ، فضلاً عن إثارتها الدهشة فينا وبشكل يثير للتعاطف معها.

2- الشخصيات المسطحة :

وهي الشخصيات التي تتصف بحالة من الثبات والجمود خلال سير الأحداث القصصية ((وهذه الشخصيات في أدق أشكالها تدور حول فكرة أو صفة... ويمكن التعبير عنها بجملة واحدة)) [35] . ومثل هذه الشخصية يأتي بها الكاتب جاهزة على الورق من دون بذل أي جهد، وهي التي ((تغادر الرواية على الحال التي دخلتها أول مرة ، ولا تفهم باعتبارها جزءاً من العقدة وتتمتع بوجود مستقل)) [36] ، ويتعرف القارئ عليها منذ البداية، من دون أن يتتبعها في الأحداث الروائية، ولها جانب واحد لا يتغيّر في سير الأحداث. وظهور هذه الشخصيات في مسرح الأحداث، حسب توظيفها وطبيعة الدور الذي يوكل لها، فقد تظهر مرة واحدة، ولا تظهر بعدها ، أو ((قد تنطق الشخصية بأشياء لمجرد أن يخبر القارئ بأمر ما)) [37] .

والشخصية المسطحة أياً كان ظهورها، فهي عنصر من العناصر التي تسهم في تنفيذ البناء الروائي.

ورواية شواطئ الدم.. تعج بالشخصيات المسطحة المختلفة، مابين الجندي، والضابط في ساحة المعركة والمدنيين خارج هذا الإطار. ومن الشخصيات المسطّحة شخصية المخابر كريم، وهذه الشخصية ترافق الشخصية الرئيسة (ملازم مراد) ، واجبها هو تأمين الاتصال له مع مقدم هذّال والضباط الآخرين؛ يقول الراوي: ((من موضع الرشاشة المتوسطة رنّ جرس التلفون.. رفع السماعة المخابر كريم. أعطاني ذراع التلفون قائلاً:

– الآمر يطلبك.

التقطت السماعة.. وتهادى كلام الآمر متقطعاً في أذني...)) [38] . والملحوظ على شخصية كريم أنه يبقى مخابراً ومرافقاً لملازم مراد حتى نهاية الحدث الروائي، أي أنه مختص بجانب واحد هو تأمين الاتصال، من دون أن يكون له دور فعّال في بناء الأحداث.

ومن الشخصيات الأخرى المسطحة عدد من الجنود، يقول الراوي ملازم مراد: ((عرفت من الجنود هاشم النحيل.. لكنه نشط.. وعبد الحسين صاحب الصوت الجميل، ومحمد الباقر... وعريف الفيصل سلمان وغازي، ولم تمضِ أيام إلا وعرفت أسماءهم كلها)) [39] . وهذه الشخصيات لا تظهر سوى مرة واحدة ولم تتغير، والكاتب يسعى في مجيئه لهذه الشخصيات هو الكشف عن بعض جوانب الشخصية الرئيسة (ملازم مراد) وعن الجنود الذين يأتمرون بإمرته، وعن المهام التي تنفذ، ودور ملازم مراد فيها، بوصفه شخصية رئيسة تنهض بمهام جزء كبير من الحدث الروائي. وفي جانب من إضاءة ماضي ملازم مراد بوصف ذلك الماضي متواشج مع الحاضر، فملازم مراد مجند في حاضره الروائي، وهو قبل هذا مر بأعوام دراسية عديدة، وقنوات علمية مختلفة، بدءاً بالدراسة الابتدائية، وبعدها المرحلة الثانوية، ومن ثم الدراسة الجامعية، تلك السنوات التي تهفو إليها نفسه كلما تقدم في حاضره المليء بالويلات والمصائب لما في تلك السنين والأيام من أحلام بريئة، وتطلعات جميلة وحرية صافية مطلقة. والماضي الذي عاشه ملازم مراد فيه من الشخصيات (الأحباب، والأصدقاء، وحتى الأعداء منهم) ويعمد الكاتب إلى المجيء بهذه الشخصيات للكشف عن ماضي ملازم مراد، وعن طبيعة حياته وعن علاقاته، ولربط ذلك الماضي بكل ما يحمل من أحلام عريضة وجمال ونشوة بالحاضر المفعم بالمصائب والويلات. ومن هذه الشخصيات المسطّحة مدير المدرسة الابتدائية (محجوب)، ومعلم المدرسة (ريمون)، يقول الراوي: ((شبح المدير محجوب يطاردني.. هيكل كبير به بعض الترهل.. لا أذكر أنه أبتسم يوماً)) [40] ، وقوله: ((يأتي المعلم ريمون، مسيحي من قرقوش.. يحب الرياضة كثيراً.. يسحرنا بحركاته وكلامه)) [41] ، وكذلك زميلات الدراسة الجامعية، والحياة المدنية التي صارت حلماً مفقوداً [42] .

وهذه الشخصيات ثابتة لا تتغير، والكاتب جاء بها ليبيّن حالة المعاناة التي يعيشها مراد في حاضره السردي مقارنة مع ماضيه الجميل. فملازم مراد لم يعد نفسه للعسكر والحرب، والقتل والدمار، لكن قدره زج به إلى هذه المحرقة رغماً عنه . ويعمد الكاتب أحياناً إلى المجيء ببعض الشخصيات من العسكريين للكشف عن ظروف المعركة ومعاناتها، من ذلك رأس عرفاء عكموش:

((يأتيني رأس عرفاء عكموش بكيسين فيهما عشر قناني من الماء..)) [43] . وهذه الشخصية ثابتة لاتتغير، وقليلة التفاعل مع الشخصيات الأخرى، وقد جاء بها الكاتب لتبليغ الجنود وتهيئتهم للدخول في معركة كبيرة لها دور فعال في مجرى الأحداث الروائية.

فيما يعمد الكاتب أحياناً إلى وصف الشخصية المسطّحة وربطها ببيئتها، مثل : ماجد البصري [44] ، ومناحي قنيان [45]. يقول الراوي: ((أدخل ملجأ مناحي قنيان ... اسم بدوي يوحي بالبيئة التي هو فيها.. ملامح صلبة ووجه صقر جائع، رجل شوكي من صحراء العراق الغربية... مناحي قنيان تعابير وجهه القاسية وشاربه الكث يوحيان بالكثير من التجارب))[46] .

وماجد البصري، ومناحي قنيان شخصيات مسطّحة لا تتغير مع الأحداث، وقليلة التفاعل مع الشخصيات الأخرى، والكاتب جاء بها ووصفها للكشف عن معنويات الجنود، وقابلياتهم البدنية والتحملية، وقدرتهم على تحمل أقسى الظروف وأهلكها، وعن دور البيئة في إعداد أبنائها على التحمّل والصبر في أعقد الظروف وأصعبها.

وهذه الشخصيات لم يكن لها دور يذكر في الأحداث بل حتى ظهورها في مسرح الأحداث كان قليلاً جداً.

والشخصيات المسطّحة في رواية شواطئ الدم.. هي شخصيات ثابتة لا تتغير، ولا يهتم الكاتب بتطويرها بقدر الكشف عنها وتوضيح أبعادها، وكثيراً ما توظّف هذه الشخصيات للكشف عن دور الشخصية الرئيسة عن طريق التفاعل والمؤازرة أو الكشف عن الظروف المخيمة على المقاتلين وما تحمله من تغيّرات وأحداث مختلفة.

3- الزمن

الترتيب الزمني:

ويتمثل الترتيب الزمني في هذا الإطار بـ ((المسار الزمني في سياق الرواية من حيث الاستحضار- أي استحضار الماضي في زمن الحضور- والاستباق- أي تداعي المستقبل في زمن الحضور)) [47] ، فالترتيب الزمني في شواطئ الدم .. شواطئ الملح ينهض على تقانتي:

أ- الاسترجاع

ب- الاستباق.

- **الاسترجاع:** هي تقانة زمنية تتمثل في أحداث ماضية يتم استرجاعها إلى الحاضر، ويتم ذلك عن طريق ((ترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها)) [48] ، لتنشأ المفارقة الزمنية بين الماضي والحاضر، لذا ((فإن كل عودة للماضي تشكّل بالنسبة للسرد، استذكاراً يقوم به لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة)) [49] . أما الكيفية التي يتم بها الاسترجاع، فإن ثمة طرقٍ متعددة لذلك، فهو ((إما يتم بطريقة السرد التقليدي بأن يعود راوي الأحداث إلى رواية الأحداث الماضية التي وقعت قبل بدء أحداث القصة، أو قبل بعض الأحداث التي رواها أو عن طريق الشخصية نفسها، وعند ذلك لابد من الاستعانة بالوسائل الفنية المعروفة في رواية (تيار الوعي) من (الارتداد) إلى الماضي لرواية أحداث وقعت في الماضي [50] . يعتمد الاسترجاع بشكل أساس على نشاط الذاكرة، إذ تعمل بأقصى طاقتها لاستعادة أحداث من الماضي، واستدراجها في اللحظة الزمنية في حاضر السرد، إذ تعمل الذاكرة على استدعاء شريط الماضي بأحداثه وتأملاته وذكرياته في لحظتها الراهنة وعرض من هذا الشريط الذاكراتي ما يرتبط بعامل الاستدعاء من أحداث ماضوية تطلبها الحاضر السردي، يقول الراوي:

((أطلقت نظري نحو مصدر الضوء: فانوس أزرق وعليه علامة الخفاش التي جرّتني كثيراً.. كنا صغاراً أنا وإخوتي الثلاثة نتجمع حوله مثل حشرات نقلّب أوراق كتبنا المدرسية.. ونبلّل أوراق الرسم بزيته لنطبع صور القراءة الجميلة . أنا كنت شغوفاً برسم الجبال.. لا أعلم لماذا.. كان أبي يتأملنا، شيخ كبير تجاوز عمره السبعين، كأني أراه الآن يداعب صخر مسبحته، ويحب أكل الخبز الحار الذي يدفئه على جمر الموقد، كان يرسلني لكي أجلب له رغيف الخبز... مرة، مازلت أذكرها، كان أبي يسقي القطن الذي كنا نعول عليه كثيراً وكعادتها أمي أعطتني غداء أبي لأحمله له.. في ذلك اليوم سمعت الأخبار الكثيرة عن حرب العرب واليهود- حرب تشرين عام ثلاثة وسبعين- تناقلت الأخبار أن العرب أسقطوا مائة طائرة يهودية، كانت الفرحة تغمرني والآمال تملأ قلبي وأنا فتى، كنت أتجمع مع القرويين حول المذياع نسمع انتصارات العرب على اليهود)) [51] .

يصنف هذا النص ضمن الاسترجاعات الطويلة، وقد شغل مساحة صفحتين وسطور عدة، تناول فيها الراوي سرد جانب من حياته في زمن الطفولة وبعض الأحداث التي وقعت له. وكيف أنه كان يعيش بين إخوته الثلاث الذين هم في سن الدراسة الابتدائية ، يتجمعون ليلاً حول الفانوس يطالعون في كتبهم المدرسية، معجبين ببعض صور القراءة الجميلة محاولاً البعض منهم رسمها، فيما كان مراد، شغوفاً برسم الجبال ويعزو ذلك إلى قرب جبل مكحول وماله من جمالية على البيئة... ثم

ينتقل مراد للكشف عن جانب من حياة الأب ذلك الرجل الشيخ الذي تجاوز عمره السبعين، وكيف كان يتأمل أولاده وهم يمارسون هواياتهم الفنية في الرسوم. كان الأب كأكثر أهل الريف محباً لأكل الخبز الحار، الذي كان يدفئه على جمر الموقد، ويختم مراد استرجاعه بالحادثة التي جرت له مع أبيه في الماضي. عندما كان متجهاً من البيت إلى أبيه حاملاً له الغداء عندما كان يسقي القطن في الحقل، وكان مراد فرحاً بالخبر الذي سمعه من المذياع في البيت عن انتصارات العرب وتمكّنهم من إسقاط مائة طائرة للعدو، وكم كان بودّه أن يعلم أباه بهذا الخبر السار، إلا أن مراد عند وصوله إلى أبيه وإعلامه بالخبر تلقّى الأب الخبر ببرودة أعصاب ومن دون أن يعيره أية أهمية، مبرراً ذلك بقتال العرب وانتصاراتهم بالمذياع فقط.

وهو من الاسترجاعات الخارجية التي كانت علاقاتها غير مباشرة بالحدث الذي استدعى هذا الاسترجاع وهو يلون مناخ الحدث ويعزز تشكيله السردي، ويجعله قابلاً للتلقي وعلى نحو مقبول.

إن الذاكرة هنا هي التي تعمل بهذه الطريقة التي تسترجع حدثاً منتخباً يخدم الواقعة السردية في الرواية، وذاكرة (مراد) التي تفاعلت سردياً– هي التي كانت تمارس دورها طوال سنوات عمره الماضية، وهو يمر بمراحل الحياة ويتشبث بأحلامها وطموحاتها المشروعة بالأمل بالمستقبل، الذي أثقل كاهل مراد بعد أن طوى الكثير من سنين العمر بعنفوانها وبراءتها وأحلامها وألقاها في سجل الماضي. وما إن فرض الحاضر سطوته على ذاته بسبب ظروف الحرب حتى استدرج الوعي بالذهاب إلى المنطقة الحساسة من الذاكرة والعودة إلى الماضي وسنين الطفولة والبراءة والأحلام التي ذهبت سدى ليصطدم بالحاضر المؤلم! فيتصل الماضي بالحاضر في وعيه، والماضي يتلاشى أمام سطوة الحاضر ويختفي ولا يبرز إلا من خلال استرجاع الذاكرة.

يلجأ الكاتب عند تقديم الاسترجاع، والإبلاغ عن اللحظة المناسبة لتنحي السرد مؤقتاً عن دوره ليحل الاسترجاع مكانه إلى استخدام بعض الألفاظ التي تعلن عن اشتغال آلية الاسترجاع واعتماد الذاكرة في بناء الحدث منها: أتذكر، أذكر، تتذكر وقد يلجأ الكاتب إلى ربط الاسترجاع بالحادثة السابقة من دون الإعلان عنه كما في استرجاع الراوي مراد لمواقف وبطولات مناحي قنيان وكاكه رشيد في معارك سابقة، والذي دفعه لهذا الاسترجاع لتلك المواقف اندفاعهم في حاضر السرد مع ملازم مراد، ومواجهتهم لرصاصات رشاشة موجهة إليهم من دون أن يأبهوا بها، يقول الراوي:

((يبدو أن العدو قد اكتشفنا في الملجأ.. بدأت تتساقط قريباً رصاصات رشاشة. إحداهن وقعت باردة بين أقدام مناحي.. ابتسم ولم يعر للأمر أهمية... في معارك بنجوين التي استمرت ثلاثة أسابيع... قالوا أن مناحي بقي يقاتل لمدة أسبوع في أعلى قمة الجبل، كان معه في الربية أحد الفرسان اسمه كاكه رشيد... لم ينسحب مناحي على الرغم من شدة القصف وتراجع الجنود واستشهاد آمر الفصيل

.. بقي هناك يقاتل مع كاكه رشيد محاصرين، وبعد أسبوع استعادت القوات العراقية الجبل واستطاعت أن تطرد العدو)) [52] .

وهذا الاسترجاع يعد من الاسترجاعات الداخلية التي لها علاقة مباشرة وحيوية بالحدث الذي استدعى مثل هذا الاسترجاع، من أجل تعزيز اللحظة السردية وجعلها أكثر حيوية في التلقي.

فالذاكرة هنا هي التي تعمل بهذه الشاكلة التي تسترجع حدثاً منتخباً يخدم الواقعة السردية في الحاضر السردي. وذاكرة مراد هي التي كانت تمارس دورها في المرحلة الماضية التي قضتها في الجبهة، وما واجهته من ظروف ومواقف وبطولات ومختلف الظروف لاسيما في بداية المعارك.

فظروف الحرب الماضية ومواقف الجنود المختلفة حاضرة دوماً في ذاكرة مراد، وهي ما تستفزه ملابسات حاضره، بوصفه لا يزال في ساحة الحرب ويعيش المعاناة اليومية لحظة بلحظة.

وقد يعمل الوعي السردي في تحفيز الذاكرة بعد اختيار اللحظة المناسبة للاسترجاع، تلك اللحظة التي تدعو الشخصيةُ الوعيَ الباطن من خلالها في استدعاء مخزون الذاكرة، واجتزاء ما تطلب استحضاره من الحاضر السردي ، فيأتي الاسترجاع على شكل انثيالات سردية من دون إعلان أو تمهيد، كما فعل أحمد الصويلح، عندما راح يسرد جوانب من ماضي حياته على أثر سؤال ملازم مراد له الذي كان معجباً بعزفه على آلة الربابة ومحاولة استفساره عن الآلية التي مكّنته من المهارة في العزف.

فاستفز السؤال وعي أحمد الصويلح وذاكرته فشرع يسرد ماضيه الذي روت له بداياته امرأة عجوز من قريته، من أن والده تطوع للمشاركة في حرب فلسطين 1948، بعد ولادته بشهور قلة وقطعت أخباره، أما الأم فتوفيت ساعة ولادة أحمد، وهي ليس لها أقرباء في القرية، فتكفل رعايته النساء الغجريات اللاتي كنّ يخيّمن في القرية، ثم تعلّق بالغجر وأحبهم حتى أخذ أحياناً ينسب إليهم، تعلم العزف على الربابة منهم، وراح يتنقّل معهم في القرى المختلفة بحثاً عن الولائم والمناسبات.

ويسترسل أحمد الصويلح في استرجاعه الطويل وما تسعفه به الذاكرة عما روي له أو عاشه فعلاً في ماضيه المرير.

– **الاستباق:** وهي تقانة زمنية تستشرف مستقبل الأحداث وتقرأ القادم منها ((فتخبر صراحة أو ضمناً عن أحداث أو أقوال أو أعمال سيشهدها السرد في وقت لاحق)) [53] .

فالسرد في هذه التقانة يسعى صعوداً من الحاضر إلى المستقبل، ويتم ذلك من خلال ((القفز على فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتطلّع إلى ما سيحصل من مستجدات الرواية)) [54] ، فالتوجه الزمني لهذه التقانة هو معاكس تماماً لتوجه

تقانة الاسترجاع، فمثلما يرجع زمن القص لاسترجاع الأحداث الماضية يقفز إلى الأمام متخطياً اللحظة التي وصل إليها لاستقدام أحداث لا تزال في حكم المجهول.

ويلجأ الراوي في الإعلان عن الاستباق إلى استخدام الفعل المضارع الدال على المستقبل، وهو الفعل الأصلح عملياً للتشكيل السردي في مثل هذه التقانة الزمنية، وهو غالباً ما يأتي تمهيداً لحادثة معينة سواء تحقق حدوثها، أم لم يتحقق فهي لها علاقة بأحداث الرواية.

وفي رواية شواطئ الدم استباقات أقل من الاسترجاعات، والاستباق فيها– وبشكل عام– يشكل مساحة ضئيلة من مساحة النص الروائي.

يقول الراوي: ((أحمد الصويلح ستتزوج بعد شفائك... ستعزف أحلى ألحانك، سيغني لك في العرس كل أهل قريتك الذين لم يعرفوك حتى هذه اللحظة.. كل الغجر الذين خاصموك... سيغني لك كل من يحضر.. من هي صاحبة الحظ التي ستكون لك وتكون لها.. من ستغني لها أحلى ألحانك)) (55) .

هذا النص من الاستباقات الطويلة في الرواية يكشف فيه الراوي عن أفكار ملازم مراد أثناء دخوله المستشفى وهو قادم لزيارة أحمد الصويلح الراقد في المستشفى بعد إصابته في ساحة المعركة، وفراقه لأحبته من الجنود والضباط ولاسيما ملازم مراد، الذين كانوا يقضون فراغهم في الملاجئ يستمعون لصوت الربابة ولحنها الحزين، وبعدما أطلعهم أحمد الصويلح على ماضيه الصعب، ونيته للزواج وقد أكمل الخطوبة، وعقد القران وكان يتحين الفرصة وهي أقرب إجازة للزفاف، ودعى كل محبيه لكن الإصابة حالت دون ذلك . فالأفكار انثالت على ملازم مراد عند وصوله المستشفى، على أن هذه الأفكار ستعقبها أفكار أخرى تتسم بالحزن والمرارة والألم في قادم السرد عندما يصل ملازم مراد إلى مكان رقوده في ردهة المستشفى ويجد أن صديقه الحميم أحمد الصويلح قد انتحر مساء الليلة الماضية بعدما عرف أنه قد تماثل للشفاء، إلا أن الإصابة قد أعطبت ذكوريته، وبالتالي فإنّ هذا يعني فشل مشروع حياته المستقبلي الذي كثيراً ما انتظره وحلم به، فأقدم على الانتحار، والراوي إذ يكشف عن أفكار ملازم مراد فإنه يخترق جمجمته ويرتقي إلى رؤاه وخياله ليسرد لنا ما يشغل فكره وما يدور بذاته من أفكار وهواجس.

فالسرد هنا يسير على وفق آلية السرد الموضوعي وإن كان ملازم مراد هو المفكر،

يقول الراوي: ((إن العدو سيكرر هجماته طالما أنه في خانق الفاو، ونحن لابد أن نحررها.

– هذا صحيح، وسيتم عاجلاً أم آجلاً.

– سننسحب نهاية الضياء الأخير.. سأعود إلى ملجأي)) (56) .

في هذا النص يكشف ملازم مراد عن جانب مما خبره عن الحرب، ومغامرات عدوه وأفعاله من خلال معايشته لواقع الحرب لمدة ليست بقليلة، وعن قرار سعيه للانسحاب والعودة إلى ملجئِه المخصص للراحة وبعد أن أنهكت النفوس والأجساد لأيام عدّة من المواجهة المحتدمة، هو وجنوده في هجومات ومواجهات مختلفة مع الجانب الآخر، على أن هذه الأفكار والأحلام في الركون إلى الراحة، ولو لساعات قليلة من خلال الانسحاب إلى الخلف لم تتحقق بسبب مواصلة الجانب الآخر الهجوم والقصف العشوائي حتى شلّت الحركة تماماً، والراوي ملازم مراد إذ يكشف عن أفكاره وآرائه ولكل ما يخطط لفعله إنما يعلن ذلك صراحة وعلناً بنفسه فيسرده بطريقة مباشرة من دون وسيط.

يقول الراوي: ((لاحظت عمل الهندسة العسكرية فقد فتحت لكم ثغرة في الماء لتكون لكم طريقاً عند خروج الكمين.. وستكون أنت آمر الكمين وتأخذ معك جنديين وسأكون على اتصال بكم عن طريق التلفون الذي ستأخذونه معكم)) [57] .

في النص يكشف الراوي مقدم هذّال عن أفكاره وما يخطط له، وهو القيام بكمين تجاه العدو من خلال الأمر للملازم مراد بتنفيذه، بوصف ملازم مراد في خط التماس والمواجهة مع العدو، ومقدم هذّال هو آمر السرية فهو يخطط ويفكر بحسب ما تمليه عليه ظروف الحرب وذاكرته العسكرية، وملازم مراد وجنوده هم أداة التنفيذ، والراوي إذ يكشف هذه الأفكار فإنه يستخدم مركزه العسكري فيسرد ذلك علناً بذاته وبطريقة مباشرة.

4- المكان

يعد المكان عنصراً مهماً من عناصر الرواية، بوصفه مسرح الأحداث، أو الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات أو تقيم فيه، فتنشأ بذلك علاقات متبادلة بين الشخصية والمكان، إذ أصبح المكان((وسطاً ديناميكياً تتجسم من خلاله تلك الشخوص التي تأخذ في مسارها خطاً مزدوجاً متناقضاً، فهي حيناً تبدو في حال من التداخل، والتشابك وحيناً آخر تتنافر، وتتباعد، فتبدو في شكل وحدات درامية منفصلة، توحي بمدى ما تتميز به كل شخصية من استقلال واكتفاء، وبالتالي فهي رهينة عالمها الخاص.. وتجربتها الإنسانية الفريدة)) [58]، فالمكان هو الأرضية التي يشيد عليها الروائي بناءه، ومهما يكن من شيء، فإن الرواية لابد أن ترتبط بشكل من الأشكال على اختلاف قيمة المكان ودوره في بنية العمل، فالمكان وعاء الحدث والشخصية أو إطار لهما ولغيرهما من عناصر الرواية [59] .

إن المكان في الرواية ليس مكاناً حقيقياً، وإنما هو مكان متخيل مصاغ من ألفاظ، يعتمد الروائي في صياغته على ما هو مخزون في ذاكرته من صور الأمكنة التي عرفها أو عاش فيها، فهو يبنى

((على أساس من التخيّل المحض لكنه لا يكتسب ملامحه وأهميته بل وديمومته إذا لم يتمثل بدرجة أو بأخرى مع العالم الحقيقي خارج النص)) [60] ، فهو مكان ليس عادياً فهو ينمو في ذهن الكاتب، ويتبلور في النص، ويتصوره القارئ ذهنياً، وهو ((يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة)) [61] ، ذلك لأن المكان عنصر فاعل وبشكل كبير في ربط الإحساس بمظاهر الحياة وجوانبها المختلفة.

ورواية شواطئ الدم.. شواطئ الملح، هي رواية حرب وهي إلى حد كبير رواية مكان، ذلك لأن الحرب تنطوي على الفعل العسكري الذي يرتكز في وجوده على وسائل التدمير العسكرية المختلفة من أسلحة وأعتدة وحركة جيش بآلياته ومعداته، وكل ذلك مقترن بالمكان الذي عادة ما يكون في العراء، والذي اصطلح على تسميته بالمفهوم العسكري (جبهة القتال)، وقد برز المكان في رواية شواطئ الدم مطبوعاً بطابعين الأول: مكان طارئ غير أليف، وغير آمن بفعل مؤثرات الحرب بوصف المكان مسرحاً للعمليات العسكرية، مخيماً عليه القصف المعادي والقنص والتأهب المستمر للرد على الأسلحة أو الانتقال إلى مكان آخر، وبذلك تميّز المكان بفقدانه لمستلزمات الأمن والاستقرار. والثاني: المكان الأصلي– الأليف الآمن، البيت أو القرية أو المدينة، تلك الأمكنة التي ينتمي إليها الجنود، فوجود الجندي في ساحة المعركة كان طارئاً، إذ أنه ليس إنساناً مقطوع الجذور، بل لم تلده أمه في ساحة المعركة، فهو لابد أن يكون مرتبطاً بمكان آخر آمن عاش فيه وترعرع فيه وارتبط به روحاً وجسداً.

ومن هذين المنطلقين ارتأينا تصنيف المكان إلى نمطين – بحسب ما طبع في الرواية – أ– المكان غير الآمن المعادي. ب– المكان الآمن الأليف.

أ– المكان المعادي:

وهو المكان الذي لا يشعر الإنسان نحوه بالألفة، بل على العكس من ذلك، إذ يشعر نحوه بالعداء، وهو كل مكان يقيم فيه الإنسان مرغماً كالسجون والمعتقلات أو أن خطر الموت يكمن فيها لسبب أو لآخر، والمكان المعادي في الرواية هو المكان الغالب الأعم بسبب طبيعة الحدث الروائي الذي يرتكز على فعل الحرب وظروفها المختلفة، وحضور الموت الدائم، وما يعكسه ذلك من تأثير على المكان، يقول الراوي: ((أرض الخندق الشقي طينية تتماوج فوقها كأننا نمشي على أرض الصابون.. أزيز الرصاص يمرق من فوق الرؤوس التي تنحني وهي تعدو بتعب ولهاث.. الشظايا تتساقط في الشق وعلى الجوانب تثير في القلب الاضطراب، للقذائف التي تجتازنا صوت يوقف النبض)) [62] .

ومن البديهي أن الحرب تدور في العراء، ففي خطوط المواجهة الأمامية لا يستطيع الجندي من أي طرف الصمود أمام النار المعادية، فيلجأ الجنود إلى حفر الخنادق الشقية والملاجئ والاحتماء في بطونها من النار المقابلة، إلا أن هذا الشق الذي عادة ما يستخدم للرصد والرد على الجانب الآخر،

والمرابطة المستمرة، فيكون مكشوفاً أمام ظروف المناخ المختلفة، وعادة ما تملأه مياه الأمطار فيصبح مكاناً غير صالح للسير، والمرابطة أو الحركة ولكن بسبب خطورة الظرف فإنّ الشخصية تلجأ إليه، ومع ذلك تعيش في حالة من الذعر والقلق أمام الشظايا المنهمرة كالمطر، وصوت القذائف الذي يوقف وجيب القلب، فالمكان تستودع فيه الشخصية كل إحساسها بالإحباط والقهر والتعب وانعدام الأمن والاستقرار.

يقول الراوي: ((قصف معادي مركز لملاجئنا.. اهتزاز في هذه الجحور التي لا تسكنها حتى الثعالب، غبار، دخان، يصعد إلى السماء.. تسقط شظية عند باب ملجأي.. الهول الهول لمن بقي حياً)) [63] .

فالمكان كان مسرحاً للعمليات العسكرية، وهو معرّضٌ لشتى المؤثرات المميتة التي تفرض هيمنتها على الشخصية إذ يؤثر الرصد المعادي للمكان فيحيله إلى أرض مكشوفة أمام العدو، وعليه فإنّه مساحة مفضوحة ومكشوفة أمام العدو، على الرغم من صغر الملاجئ وضيقها، وقد شبهها الراوي بجحور الثعالب، وهو وصف جاء من منظور الشخصية ذاتها (ملازم مراد) ، ورؤيتها الذاتية للمكان فهو يعكس إيقاعها النفسي الصاخب وإحساسها الرافض للمكان واستحالة قدرتها على التكيف والانسجام معه، فهو مكان لا يصلح للوجود الإنساني لفقدانه كل مستلزمات الحياة الآمنة الحرة الكريمة، فضلاً عن كونه مهدد بخطر الموت في كل لحظة.

وكثيراً ما يرسل المكان / الأرض في الحرب ولاسيما عندما تسنح الفرصة من القصف ولو كان ذلك خلسة – لتأمّله رسالة ملؤها الحزن والإحساس بالضياع، والتسليم بالمصير المحتوم، فهي أرض لم يسلم منها شبر من دون أن يناله القصف المعادي، بل أنّ كل مساحات أرض المعركة محروق بالكامل فكيف للإنسان البقاء فيه؟ يقول ملازم مراد: ((حين تحدق في الأرض ينكمش قلبك فزعاً، إنها مقلوبة. إنها منفوشة ومحروقة، مسودة.. من كثرة ما وقع عليها من قنابل. لم يتوقف القصف لا ليل ولا نهار)) [64] . فالمكان/ الأرض غير آمن، يكتنفه الخوف والقلق والموت بسبب وجود عوامل الدمار التي تركت فيه آثاراً مباشرة.

وهذه الأرض المفتوحة تضيق أمام الشخصية فتلجأ إلى الأماكن الضيقة (الملاجئ) المغروسة في الأرض، وهي ضيقة جداً لكنها تصبح واسعة لحظة اشتداد القصف المعادي، يقول الراوي: ((الملجأ لا يسع إلا لي.. لكنه في أثناء القصف يكون بحجم القصور وبدفئها الجميل.. كان طوله متران وعرضه أقل من متر)) [65] .

فالمكان هنا ضيق يقيد الشخصية في حركتها ، وهي تلجأ إليه مرغمة لتحمي نفسها من القصف المعادي، وهو مغلف بالأسرار التي كثيراً ما تكون مؤلمة، مثل انهيار الملجأ أمام القصف، أو السيطرة عليه من قبل أفراد دوريات العدو... إلخ.

المكان في رواية شواطئ الدم.. في أغلبه كان غير آمن يلفه القلق والخوف، ويكتنفه الموت والذعر بسبب وجود عوامل الحرب والدمار التي تركت فيه فعلها المباشر فوسمته بسمة خاصة جعلته مكاناً معادياً للشخصية إلا أن الشخصية مضطرة إلى الوجود فيه، لتدافع عن مُثلَها وقيمها المقتنعة بها.

2- **المكان الأليف:** وهو المكان الذي ننسجم معه ونشعر فيه بالراحة والسكينة، ويتمثل في كل مكان((عشنا فيه وشعرنا بالدفء والحماية، بحيث يشكل هذا المكان مادة لذكرياتنا، ويعد البيت ولاسيما بيت الطفولة أشد أنواع المكان أُلفة)) [66] ، فهو عالم الإنسان الأول، ومنه تنطلق حياته الجديدة بوصفه مكان الطفولة والشباب، المأوى الأول ومهد الفضيلة، فمنه تنطلق أعظم العلاقات الإنسانية.

ولا تقتصر الألفة على البيت الذي ولدنا فيه أو عشنا فيه فحسب، بل على كل مكان نحس بأُلفة إزاءه سواء أكان عامّاً أم خاصاً، ضيقاً أو واسعاً، مدينة أو حارة، شارعاً أو مقهى أو أي مكان نحسُّ فيه بالطمأنينة والأمل ، ونشعر((بأن ثمة حماية لهذا المكان من الخارج المعادي وتهديداته، ويمنح هذا المكان الفسحة للحلم والتذكر)) [67] .

إن أُلفة المكان هي عقد نوع من الصلة التي تربط الإنسان بالمكان، التي تظهر من خلال العواطف والانفعالات والأحاسيس التي تجيش بها ذات الإنسان تجاه المكان، والتي تكشف عن صدق الصلة وعمق الارتباط بينهما ومدى تأثير كل منهما على الآخر.

ذكرنا سابقاً ان رواية شواطئ الدم .. شواطئ الملح، هي رواية حرب، والمكان في الحرب عادة ما يكون مكاناً طارئاً نتج وتعين بسبب ظروف استثنائية، فوجود المقاتل في ساحة المعركة وفي أي شبر منها، استقراره.. تنقله.. تقدمه.. تراجعه مرهون بأوامر عسكرية وسلطوية، وهي بمجملها ترتبط بأمر استثنائي، لا يشكل قاعدة عامة في الحياة. فالمكان في الحرب يبرز مع اشتعال فتيل الحرب ولا ينجلي إلا بزوالها. وعلى العموم فلابد للحرب من نهاية، ومهما يكن فالمقاتل نشأ وتربى في أحضان المدنية: البيت ، القرية أو المدينة المكان الأصلي ، أما عن مكانه في ساحة المعركة فهو مكان طارئ والمقاتل حتى في وقت استمرار الحرب فهو يتحين الفرصة أو الإجازة للعودة لمكانه الأصلي الطبيعي، وإذا ما انتهت الحرب وظروفها فترى المقاتل عاد إلى مكانه الأصلي، ملتصقاً به روحاً وجسداً، فكراً وأملاً.

يقول الراوي: ((الندى أجراس لؤلؤ على العشب .. والمدى أزرق ومكحول يجثم غرباً أسوداً داكناً لا شجر يغطيه.. أسميه الجبل الحزين.. قرية اسديرة مفروشة في جوف حقول القمح الواسعة، أهيم في أجوائها ودروبها.. الزمن يضع بصماته على بيوت الطين خدشاً.. جرفان السيول يترك أخاديد، على أسقف وجدران البيوت ، تنغرس بين السقف والجدران...أعشاش العصافير والفئران وفي داخل البيوت وعلى أعمدة السقوف المعوجة يعشعش الخفاش الذي يأتي موسمياً.. أبقار تجوب الأزقة بعبث ... قطعان من الأغنام الهائمة في صمتها متوجهة نحو البراري المحيطة)) [68] .

الراوي هو ملازم مراد العائد إلى مكانه الأصلي القرية ، بإجازة من جبهة القتال، وقد عمد أولاً وهو في إطار الوصف لقريته أن يبرز اسم القرية (اسديرة) الذي أضفى على القرية بعداً واقعياً قد يعود بها إلى مرجعية حقيقية في الجغرافية الإنسانية الطبيعية، ثم عمد إلى وصف القرية، ظروفها، وأبعادها وأجوائها البيئية وبشكل واسع ودقيق، فهو يبرز جمال القرية وهدوئها الوريف اللذين يفرضان على القرية طابع الألفة، وحالة الانسجام، فالمكان / القرية (اسديرة) يلتصق بذاتية مراد وبوجدانه التصاقاً لا يمكن الفصل بينهما، وقد أفصح الراوي عن ذلك من خلال رؤيته الذاتية، وهو يجوب دروب القرية الآمنة المستكنة ، بأروقتها المشغولة بمختلف المواشي والطيور الداجنة، محاولاً الكشف عن عمق انتمائه المصيري الحي لحرارة الحياة فيها ودفقها، فهي مكانه الذي يضرب فيه بجذوره وتتأصل فيه هويته الريفية، يحيى فيه بأمن وأمان بعيداً عن هول الحرب، فهو مرتع الصبا ونشوة الطفولة وفيه عبق السنين.

وقد يبرز المكان الأليف الذي تتوق له النفس الإنسانية، وتنشد إليه إذا ما توفرت فيه سبل الراحة والأمان والجمال حتى وإن كان محاذياً لأرض المعركة، فالأرض في المعركة مفتوحة شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً إلى مالا نهاية، وهذا لا يعني كل مكان قريب / بعيد عن ساحة المعركة يطبع بطابعها ويتسم بمميزاتها، فالمكان / الأرض الذي هو في مأمن من القصف وآلة التدمير العسكري وفيه ما يبعث الراحة والطمأنينة لا تسمه النفس الإنسانية بسمة الحرب حتى وإن كان قريباً منها ، بل العكس تماماً، فالحرب طارئة في مكانها المخصص وهي قابلة للزوال ولا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية، وأي مكان آخر حتى وإن كان على مقربة من المعركة فإنّه يفرض طابعه المتّسم به على النفس الإنسانية، فإذا ما اتسم ذلك المكان بالهدوء والأمن والجمال فرض على الذات الإنسانية ومن اللاشعور السكينة والارتياح النفسي، يقول الراوي ملازم مراد في وصف المكان الذي يقع على مقربة من الخطوط الخلفية: ((الأرض اخضرار كبير.. المدى قمح وعشب وورود بالألوان كلها.. الربيع سيدنا هنا.. التلال المتموجة.. بساط الخضرة والزهر.. لا شيء سوى زرقة السماء واخضرار لونان هادئان.. يبعثان في النفس الارتياح)) [69] ، فالحرب قد ألهبت مشاعر وأحاسيس مراد، وهو يواجه هول الحرب والدمار يومياً، ويعيش في الملاجئ الضيقة المسكونة بالروائح النتنة، لذلك أصبحت

نفسه تتوق إلى كل مكان ينعم بالحرية والأمن والاستقرار ويستودع الذات الإنسانية جانباً من الطمأنينة، فإذا ما سمحت الفرصة للملازم مراد أن يبعد عن خط المواجهة الصميمي إلى الخلف – ولو لأيام قليلة – إلى مكان / الأرض، ففيها الأمان المؤطّر بجمال الربيع الموشى بألوان الزهور المتنوعة تنشد له نفسه وتنسجم حتى راح ذلك المكان / الأرض وبجماله الآسر أن يحفز ذاكرة ملازم مراد ليتذكر أماكن الطفولة ومرتع الشباب أماكن الأمل والحب في ربوع قريته الجميلة، يقول الراوي: ((انظري إلى حقل القمح الكبير، إلى ملايين الورود.. إلى مكحول.. وإلى كل كائنات السهول المترامية... الفضاء الكبير يطبق على بساط الخضرة.. مكحول عالياً يصعد بصمت – ثمة نسر يحلق في الأعالي يؤنس وحدته.. قد يغني موالاً للربيع.. أضطجع على القمح.. وأغمض الجفون.. تداعب شعري.. تقبل عيني..أرى وجهها صورة في السماء وشعرها يتدلى فوق صدري ويديها تنغرزان في الأرض))[70] ، القرية مكان الألفة والحميمة والسكينة، وفيها تتجلى أنا الإنسان ومنها يشع شعوره عمقاً وأصالة في الوجدان، فهي وطن الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط المشيمي برحم الأرض، فملازم مراد الذي عاش وتربى في أحضان قريته الريفية (اسديرة)، خبر سهولها ورباها، خضرتها وجمالها، فهي راسخة في وجدانه، ومنها انطلق في تجارب حياته المختلفة ولاسيما علاقة الحب لمعلمة المدرسة إيمان، فجلسا سوية وتبادلا الحوارات العاطفية، وتفسّحا معاً في ربوع القرية الجميلة وسط مزارع الحنطة والشعير وخضرتها الزاهية، وهم يرسمون أحلاماً عريضة لم يكتب لها في النهاية النجاح، بسبب دعوة مراد لأداء الخدمة العسكرية بوصفه ضابطاً مجنداً، وانتقال المعلمة إيمان إلى مدينتها (الموصل).

إن انتقال مراد من مكانه الأصلي / القرية إلى المكان الجديد ساحة الحرب كان سبب إجهاض مشروعه المستقبلي بالزواج من إيمان ، فترك هذا الأمر فيه جرحاً غائراً لم يستطع أي شيء طمره ، ليبقى مراد ينكأ جرحاً دامياً وهو موجود في حدود الوطن الملتهبة، فيبقى يحن إلى مكانه / القرية التي تتعلّق بها ذكريات الطفولة والحب الجميل كلما حفز باعث ذاكرته السردية ليعود بحنينه المتجذّر في أعماقه إلى مكانه الأصلي / القرية التي عاش فيها وترعرع وارتبطت بفضائها روحه وذاكرته.

الخاتمة

يمكن أن نستنتج مما سبق ما يلي من نتائج :

1. تعتمد رواية شواطئ الدم ... شواطئ الملح في تشكيل أحداثها على النسق المتداخل ، وهو النسق الذي تتداخل فيه الأحداث من دون الاهتمام بتسلسل زمنها المنطقي .
2. إنّ أحداث الرواية تتوالى وتتداخل فهي متناثرة في الزمن ما بين الحاضر والماضي ومدياته المختلفة، وهي منفصلة عن بعضها، إذ أنها لا تخضع لترتيب زمني مترابط لكنها تخضع لترتيب آخر يراعى بصرامة وهو الترتيب السردي الذي ينهض على تداخل مستويات الزمن ما بين ماضيه وحاضره.
3. إنّ بعض شخصيات الرواية هي شخصيات نامية (متطورة) ، وبعضها الآخر ثابتة (مسطحة) ، وهذه السمات ليست بمعزل عن الشخصيات الرئيسة والثانوية بل إنها متداخلة معها .
4. لا يهتم الكاتب بتطوير الشخصيات الثابتة بقدر الكشف عنها وتوضيح أبعادها، وكثيراً ما توظّف هذه الشخصيات للكشف عن دور الشخصية الرئيسة عن طريق التفاعل والمؤازرة أو الكشف عن الظروف المخيمة على الشخصيات الأخرى وما تحمله من تغيّرات وأحداث مختلفة .
5. المكان في رواية شواطئ الدم .. في أغلبه كان غير آمن ويلفه القلق والخوف، ويكتنفه الموت والذعر بسبب وجود عوامل الحرب والدمار التي تركت فيه فعلها المباشر فوسمته بسمة خاصة وجعلته مكاناً معادياً للشخصية إلا أن الشخصية مضطرة هنا للوجود فيه، في سبيل تدافع عن مُثلَها وقيمها المقتنعة بها .

هوامش البحث ومصادره ومراجعه :

(2) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق(بناء السرد)، د.شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1994 :13.

(3) م.ن : 38.

(5) ينظر: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1990 : 75.

(6) شواطئ الدم .. شواطئ الملح ، (رواية)، إبراهيم حسن ناصر، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1، 1990 : 11.

(7) م.ن : 12-13.

(8) م.ن : 15-16.

(9) م.ن : 22-23.

(10) م.ن : 28.

(11) م.ن : 50.

(12) الرواية العراقية، دراسات نقدية، عمر الطالب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000 : 20.

(13) غائب طعمة فرمان روائياً، فاطمة عيسى جاسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2004 : 81.

(14) شواطئ الدم.. شواطئ الملح: 8.

(15) م.ن : 9.

(16) م.ن : 20.

(17) م.ن : 25.

(18)م.ن : 68.

(19) م.ن : 19.

(20) م.ن : 31.

(21) م.ن : 69.

(22) م.ن : 147.

(23) ينظر: النقد التطبيقي التحليلي، عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986 : 67.

(24) شواطئ الدم.. شواطئ الملح: 92.

(25) م.ن : 94.

(26) م.ن : 98.

(27) نزعة الحداثة في القصة العراقية، محسن جاسم الموسوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، 1984 : 161-162.

(28) فن القصة، احمد أبو سعد، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط1، 1959 : 11.

(29) في مفهوم الشخصية الروائية، د. إبراهيم جنداري، الأقلام، بغداد، ع(2) ، 2001 : 13.

(30) فن القصة، احمد أبو سعد : 11.

(31) فن القصة، محمد يوسف نجم، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ط5، 1966 : 104.

(32) ينظر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973 : 566.

(33) شواطئ الدم.. شواطئ الملح: 54.

(34) م.ن : 67.

(35) م.ن : 130.

(36) م.ن : 131-132.

(37) أركان القصة، أ. م. فورستر، ترجمة: كمال عباد جاد، مراجعة: حسن محمود، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، 1960 : 83.

(38) تحولات السرد(دراسات في الرواية العربية)، إبراهيم السعافين، دار الشروق، عمان، ط1، 1996 : 356.

(39) مدخل لدراسة الرواية، جريمي هورثون ، ترجمة : غازي درويش عطية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1996 : 73.

(40) شواطئ الدم.. شواطئ الملح: 31.

(41) م.ن : 13-14.

(42) م.ن : 41.

(43) م.ن : 42.

(44) شواطئ الدم.. شواطئ الملح : 23

(45) م.ن : 115.

(46) م.ن : 17.

(47) م.ن : 25-26.

(48) م.ن : 25-26.

(49) بناء الزمن في الرواية المعاصرة- رواية تيار الوعي نموذجياً(1967-1994)، مراد عبد الرحمن مبروك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998 : 23.

(50) بناء الرواية(دراسة في ثلاثية نجيب محفوظ) سيزا قاسم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985 : 54.

(51) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990 : 121.

(52) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف، وبناء المكان) د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2000 : 63.

(53) شواطئ الدم.. شواطئ الملح: 11-12.

(54) م.ن : 28.

(55) بناء الرواية العربية السورية(1980-1990) سمر روحي الفيصل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995 : 169.

(56) بنية الشكل الروائي: 132.

(57) شواطئ الدم.. شواطئ الملح: 151.

(58) م.ن : 83.

(59) م.ن : 31.

(60) الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعيد عبد العزيز، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1972 : 79.

(61) ينظر: تحولات السرد: 165.

(62) البناء الفني لرواية الحرب في العراق(دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة)، د.عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، 1994 : 127.

(63) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1993 : 65.

(64) شواطئ الدم.. شواطئ الملح: 75.

(65) م.ن : 25.

(66) م.ن : 115-116.

(67) م.ن : 122.

(68) البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف وبناء المكان): 99.

(69) الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د.إبراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط1، 2000 : 237.

(70) شواطئ الدم.. شواطئ الملح: 36-37.

(71) م.ن : 119.

(72) م.ن : 120-121.